رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه

للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية
ت ٧٥١هـ

قدّم له
بكر بن عبد الله أبو زيد

تحقيق
عبد اللّه بن محمد المديفر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر

رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه / تحقيق عبدالله محمد المديفر .- الرياض .

١١٧ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك ٥-٥٥٣-٣٥-٩٩٦٠

١- ابن القيم الجوزية ، محمد بن بكر ، ت ٧٥١هـ ٢-الدعوة الإسلامية

أ- المديفر ، عبدالله محمد (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٩/٤٢٠٤

رقم الإيداع : ١٩/٤٢٠٤

ردمك : ٥-٥٥٣-٣٥-٩٩٦٠

ملحوظة

لما كان هدف التحقيق والغاية منه عند المحققين هو العناية بإخراج مؤلفات العلماء أقرب ما تكون إلى مراد مؤلفيها، فقد رأى المحقق تأخير موضع قسم الدراسة بعد رسالة المؤلف، وهو منهج درج عليه بعض المحققين .

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

تـقـديـم

بقلم فضيلة الشيخ بكر بن عبد اللَّه أبو زيد

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه ، أما بعد :

فإن الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ -رحمه اللَّه تعالى- من علماء طِبِّ القلوب وعلاجها من أدوائها الدائرة في أمراض الشبهات والشهوات ؛ ولهذا تَخَلَّلَ حديثه عنها في مثاني كُتُبِهِ ، وَعَنَاهَا بتآليف مفردة ، منها :

((مدارج السالكين)) و ((طريق الهجرتين)) و ((الداء والدواء)) و ((إغاثة اللهفان)) ، وغيرها .

وهذه الرسالة التي وجهها إلى أحد إخوانه نصيحة في تخليص القلوب من أمراض الشبهات والشهوات ، وعمارتها بالطاعات ، والتأسِّي والاقتداء بالمتقين الذين تَوَحَّدَ إمَامُهُم وهو : ((دين رب العالمين)) ؛ ولهذا جَنَحَ -رحمه اللَّه تعالى- إلى تفسير مجاهد -رحمه اللَّه تعالى- لقول اللَّه -تعالى- : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي : اجعلنا مؤتمين بالمتقين ، مقتدين بهم ، فإنه لا يكون الرجل إمامًا للمتقين إلا إذا ائتم بهم ، وهذا من ألطف الفهم لآيات كتاب اللَّه -تعالى- وَأَفْيَدِهِ ، فإنَّ من ائتم بأهل السنة ائتم به مَنْ مَعَهُ وَمَن بَعْدَه .

وهذا تفسير مُسَدَّد ، وربط لحاضر أهل السنة بغابرهم ، ولاحقهم بحاضرهم، فرحم اللَّه مجاهد بن جبر ، ورحم ابن القيم ، الذي لَفَتَ الأنظار لقوله .

ولفتة أخرى لِلْفَرَّاء -رحمه اللَّه تعالى- في إفراد لفظ ((إمام)) ولم يقل ((أئمة)) إشارة إلى أن المتقين كلهم على طريق واحد ، ومعبودهم واحد ، ودينهم واحد ،

وكتابهم واحد... فكأن المتقين كلهم إمام واحد لمن بعدهم ؛ لأن الائتمام لما هم عليه وهو شيء واحد ، وهو الإمام في الحقيقة .

وأَبْدَى -رحمه اللَّه تعالى- لطائف أخر من أسرار التنزيل في آيات أُخر لم أقف عليها في شيء من كُتبه .

وكان من لَفَتَاته المؤثِّرة لـمَّا ذكر تعظيم قدر الصلاة ، وأنها قُرَّة عيون المؤمنين وراحة المتقين ، أشار إلى حال بعض الغافلين الذين أحب الصلاة إليهم أسرعها وأعجلها ، وإذا قاموا إليها فكأنما هم على جمر حتى يتخلصوا منها ، كيف لو رأى ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- فضلاً عن ذلك حال بعض المنتسبين إلى طلب العلم ، وهو يُهَوِّن من شأن الصلاة ويخرجها عن ركنية الإيمان كسائر الأعمال ، مُذْكِيًا بهذا مذهب المرجئة ، القَعَدَةِ عن فِعْل الخيرات - نعوذ باللَّه من الخذلان .

رَحِمَ اللَّه ابن القيم ، وجزى اللَّه أخانا الشيخ عبد اللَّه بن محمد المديفر ، لِقَاء تحقيقه لهذه الرسالة الإيمانية ، وأمانته ، ودقته في إثبات نصها ، وتوثيقها وتخريجها ، وعنوانها ، وحسن إخراجها ، فأفاد من جهتين : إخراج هذه الرسالة على سَنَن أهل العلم ؛ لتتم الاستفادة منها ، وإظهار ما في الطبعة السابقة لها من هِنات.

والحمد لله رب العالمين .

بكر بن عبد اللّه أبو زيد

١٤١٩/١٠/٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُ المَسؤولُ المَرجُو الإجَابَةِ أَن يُحسِنَ إلَى الأَخِ [عَلاءِ الدِّينِ][أ][(١)] فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَيَنفَعَ[(٢)] بِهِ، وَيَجعَلَهُ مُبَارَكاً أَينَمَا كَانَ. فَإنَّ بَرَكَةَ الرَّجُلِ تَعلِيمُهُ لِلخَيرِ حَيثُ حَلَّ، وَنُصحُهُ لِكُلِّ مَن اجتَمَعَ بِهِ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - إخبَارًا عَن المَسِيحِ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[ب] أَي مُعَلِّمًا لِلخَيرِ، دَاعِيًا إلَى اللَّهِ، مُذَكِّرًا بِهِ، مُرَغِّبًا فِي طَاعَتِهِ. فَهَذَا مِن بَرَكَةِ الرَّجُلِ، وَمَن خَلا مِن هَذَا فَقَد خَلا مِن البَرَكَةِ، وَمُحِقَت بَرَكَةُ لِقَائِهِ وَالاجتِمَاعِ بِهِ، بَل تُمْحَقُ بَرَكَةُ مَن لَقِيَهُ وَاجتَمَعَ بِهِ، فَإنَّهُ يَضِيعُ الوَقتُ فِي المَاجَرَيَاتِ[ت][(٣)]، وَيَفسُدُ القَلبُ، وَكُلُّ آفَةٍ[(٤)] تَدخُلُ عَلَى العَبدِ، فَسَبَبُهَا ضَيَاعُ [الوَقتِ][(٥)] وَفَسَادُ القَلبِ، وَتَعُودُ بِضِيَاعِ [حَظِّهِ][(٦)] مِن اللَّهِ وَنُقصَانِ دَرَجَتِهِ وَمَنزِلَتِهِ عِندَهُ؛ وَلِهَذَا وَصَّى[(٧)] بَعضُ الشُّيُوخِ[(٨)] فَقَالَ: احذَرُوا

التعليم والدعوة إلى الله من بركة الرجل

الحذر من مخالطة من تضيع مخالطته الوقت ممن غفلت قلوبهم

(أ) لم أجد قرينة تدل على شخص من أرسلت إليه هذه الرسالة، وانظر ص٩٣ من قسم الدراسة.

(ب) سورة مريم: الآية ٣١.

(ت) (الماجَرَيَات) : كلمة مُحْدَثة ، وهي الحوادث والأمور التي جرت أو تجري، مأخوذة من قولهم: جرى ماجرى ، ويقال : كانت بينهم مناظرات وماجريات يطول شرحها .(انظر : الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرمي ٣٢٣/١).

[١/أ] مُخَالَطَةَ مَن تُضِيعُ مُخَالَطَتُهُ الوَقتَ، وَتُفسِدُ القَلبَ، / فَإِنَّهُ مَتَى ضَاعَ الوَقتُ وَفَسَدَ القَلبُ انفَرَطَت عَلَى العَبدِ أُمُورُهُ كُلُّهَا، وَكَانَ مِمَّن قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [أ].

وَمَن تَأَمَّلَ حَالَ هَذَا الخَلْقِ، وَجَدَهُم كُلَّهُم إلا أَقَلَّ القَلِيلِ مِمَّن غَفَلَت قُلُوبُهُم عَن ذِكرِ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَاتَّبَعُوا أَهوَاءَهُم، وَصَارَت أُمُورُهُم وَمَصَالِحُهُم ﴿فُرُطًا﴾ أَي: فَرَّطُوا فِيمَا يَنفَعُهُم وَيَعُودُ بِصَلاحِهِم، وَاشتَغَلُوا بِمَا لا يَنْفَعُهُم، بَل يَعُودُ بِضَرَرِهِم [٩] عَاجِلاً وَآجِلاً [ب].

وَهَؤُلاءِ [١٠] قَد أَمَرَ اللَّهُ- سُبْحَانَهُ- رَسُولَهُ أَلا يُطِيعَهُمْ، فَطَاعَةُ الرَّسُولِ لا تَتِمُّ إلا بِعَدَمِ طَاعَةِ هَؤُلاءِ [١١]، [فَإِنَّهُم] [١٢] إِنَّمَا يَدعُونَ إِلَى مَا يُشَاكِلُهُم [١٣] مِن اتِّبَاعِ الهَوَى، وَالغَفلَةِ عَن ذِكرِ [١٤] اللَّهِ [١٥].

خطر الغفلة عن الله واتباع الهوى

وَالغَفلَةُ عَن اللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ مَتَى تَزَوَّجَتْ بِاتِّبَاعِ الهَوَى، [تَوَلَّدَ مَا] [١٦] بَينَهُمَا كُلُّ شَرٍّ [١٧]. وَكَثِيرًا مَا يَقتَرِنُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ وَلا يُفَارِقُهُ [١٨].

(أ) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(ب) تكلم ابن القيم في ذم الخلطة، وبيَّن الضابط النافع فيها، في مدارج السالكين (١/٤٥٤-٤٥٦).

وَمَن تَأَمَّلَ فَسَادَ أَحْوَالِ[١٩] العَالَمِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، وَجَدَهُ نَاشِئًا عَن هَذَينِ الأَصلَين، فَالغَفْلَةُ تحُولُ بَينَ العَبدِ وَبَينَ تَصَوُّرِ[٢٠] الحَقِّ وَمَعرِفَتِهِ وَالعِلمِ بِهِ[٢١] فَيَكُونُ مِن [الضَّالِّينَ][٢٢]. وَاتِّبَاعُ الهَوَى [يَصُدُّهُ][٢٣] عَن قَصدِ[٢٤] الحَقِ وَإِرَادَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ[٢٥]، فَيَكُونُ مِن المَغضُوبِ عَلَيهِم.

من هم المنعم عليهم ؟

وَأَمَّا المُنعَمُ عَلَيهِم فَهُم الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيهِم بِمَعرِفَةِ الحَقِ عِلمًا، وَبِالانقِيَادِ[٢٦] إِلَيهِ وَإِيثَارِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ عَمَلاً، وَهَؤُلاءِ هُم الَّذِينَ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ، وَمَن سِوَاهُم عَلَى سَبِيلِ الهَلاكِ. وَلِهَذَا أَمَرَنَا اللَّهُ[٢٧] - سُبْحَانَهُ- أَن نَقُولَ كُلَّ يَومٍ وَلَيلَةٍ عِدَّةَ مَرَّاتٍ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِم وَلا الضَّالِّينَ﴾[أ].

ما يكون العبد به قد هُدي إلى الصراط المستقيم

فَإِنَّ العَبدَ مُضطَرٌّ كُلَّ الاضطِرَارِ إِلَى أَن يَكُونَ عَارِفًا بِمَا يَنفَعُهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَن يَكُونَ مُؤثِرًا مُرِيدًا لِمَا يَنفَعُهُ[٢٨]، مُجتَنِبًا لِمَا يَضُرُّهُ. فَبِمَجمُوعِ هَذَينِ [يَكُونُ][٢٩] قَد هُدِيَ إِلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ[ب]. فَإِنْ فَاتَهُ مَعرِفَةُ ذَلِكَ سَلَكَ سَبِيلَ الضَّالِّينَ[٣٠]، / وَإِنْ فَاتَهُ قَصْدُهُ[٣١] وَاتِّبَاعُهُ سَلَكَ سَبِيلَ[٣٢] [١/ب]

(أ) سورة الفاتحة: الآيتان ٦-٧.

(ب) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٣٢٠- ٣٢١.

المَغضُوبِ عَليهِم. وَبِهَذَا يُعرَفُ قَدرُ هَذَا الدُّعَاءِ العَظِيمِ، وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إليهِ[٣٣]، وَتوَقُفُ[٣٤] سَعَادَةِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ عَلَيهِ.

الأمور التي لاتنفك عن العبد ويكون مفتقراً إلى الهداية فيها

وَالعَبدُ مُفتَقِرٌ إلَى الهِدَايَةِ فِي كُلِّ لَحظَةٍ وَنَفَسٍ، فِي جَمِيعِ مَا يَأتِيهِ وَيَذَرُهُ، فَإنَّهُ بَينَ أُمُورٍ[أ] لا يَنفَكُّ عنها :

أَحَدُهَا أُمُورٌ قَد[٣٥] أتَاهَا عَلَى غَيرِ وَجهِ الهِدَايَةِ جَهْلاً، فَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى أن يَطلُبَ الهِدَايَةَ إلَى الحَقِّ[٣٦] فِيهَا.

أمور ثانية

أو يَكُونُ عَارِفًا بِالهِدَايَةِ فِيهَا، فَأَتَاهَا عَلَى غَيرِ وَجهِهَا عَمدًا، فَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى التَّوبَةِ مِنهَا.

أمور ثالثة

أو أُمُورٌ لَم يَعرِف وَجهَ الهِدَايَةِ فِيهَا عِلمًا وَلا عَمَلاً، فَفَاتَتهُ الهِدَايَةُ إلَى عِلمِهَا وَمَعرِفَتِهَا، وَإلَى قَصدِهَا وَإرَادَتِهَا[٣٧] وَعَمَلِهَا.

أمور رابعة

(**أو**[٣٨] أُمُورٌ قَد هُدِيَ [إلَيهَا][٣٩] مِن وَجهٍ دُونَ وَجهٍ، فَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى تَمَامِ الهِدَايَةِ فِيهَا)[٤٠].

أمور خامسة

أو أُمُورٌ قَد هُدِيَ إلَى أَصلِهَا دُونَ تَفَاصِيلِهَا، فَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى هِدَايَةِ التَّفصِيلِ.

(أ) قال ابن القيم في شفاء العليل ١/ ٢١٥: «قال شيخنا» يعني شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم ذكر أكثر هذه الأمور التي ذكرها هنا، ولم يُفصِّل فيها كما فَصَّل هنا.

أَوطَرِيقَ قَد هُدِيَ إليهَا ، وَهُوَ[٤١] مُحتَاجٌ إلَى هِدَايَةٍ أُخرَى فِيهَا ، (فَالهِدَايَةُ إلَى الطَّرِيقِ شَيءٌ وَالهِدَايَةُ فِي نَفْسِ الطَّرِيقِ شَيءٌ آخَرُ)[٤٢]، أَلا تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ يَعرِفُ [أَنَّ][٤٣] طَرِيقَ البَلَدِ[٤٤] الفُلانِيِّ هُوَ طَرِيقُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِن لايُحسِنُ أَن يَسلُكَهُ، فَإِنَّ سُلُوكَهُ [يَحتَاجُ][٤٥] إلَى هِدَايَةٍ خَاصَّةٍ فِي نَفسِ السُّلُوكِ، كَالسَّيرِ فِي وَقتِ كَذَا دُونَ [وَقتِ][٤٦] كَذَا ، وَأَخذِ المَاءِ فِي مَفَازَةِ كَذَا مِقدَارِ كَذَا ، وَالنُّزُولِ فِي مَوضِعِ كَذَا دُونَ كَذَا[٤٧]، فَهَذِهِ هِدَايَةٌ فِي نفس[٤٨] السَّيرِ قَد يُهمِلُهَا مَن هُوَ عَارِفٌ بِأَنَّ الطَّرِيقَ هِيَ هَذِهِ، فَيهلَكُ وَيَنقَطِعُ عَنِ المَقصُودِ[٤٩].

أمور سادسة

وَكَذَلِكَ أَيضًا ثَمَّ أُمُورٌ هُوَ مُحتَاجٌ إلَى[٥٠] [أَن][٥١] يَحصُلَ[٥٢] لَهُ فِيهَا مِن[٥٣] الهِدَايَةِ فِي المُستَقبَلِ مِثلَ مَا حصل[٥٤] له فِي المَاضِي.

أمور سابعة

وَأُمُورٌ هُوَ خَالٍ عَن اعتِقَادِ حقٍ أوباطلٍ[٥٥] فِيهَا ، فَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى هِدَايَةِ الصَّوَابِ فِيهَا .

أمور ثامنة

وَأُمُورٌ يَعتَقِدُ أَنَّهُ فِيهَا عَلَى هُدًى وَهُوَ عَلَى ضَلالَةٍ وَلا يَشعُرُ، فَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى انتِقَالِهِ عَن ذَلِكَ الاعتِقَادِ بِهِدَايَةٍ مِن اللَّهِ[٥٦].

أمورتاسعة

وَأُمُورٌ قَد فَعَلَهَا عَلَى وَجهِ الهِدَايَةِ، وَهُوَ مُحتَاجٌ إلَى أَن يَهدِيَ غَيرَهُ [إلَيهَا][٥٧] وَيُرشِدَهُ /وَيَنصَحَهُ[٥٨]، فَإهمَالُهُ[٥٩]

[٢/أ]

ذَلِكَ يُفَوِّتُ عَلَيهِ مِن الهِدَايَةِ بِحَسَبِهِ كَمَا أَنَّ هِدَايَتَهُ لِلغَيرِ[٦٠] وَتَعلِيمَهُ وَنُصحَهُ[٦١] يَفتَحُ[٦٢] لَهُ بَابَ الهِدَايَةِ، فَإِنَّ الجَزَاءَ مِن جِنسِ العَمَلِ، فَكُلَّمَا[٦٣] هَدَى غَيرَهُ وَعَلَّمَهُ هَدَاهُ اللَّهُ وَعَلَّمَهُ[٦٤] فَيَصِيرُ[٦٥] هَادِيًا مَهدِيًّا، كَمَا فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ -ﷺ- الَّذِي رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَغَيرُهُ[أ]: «اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، واجعَلنَا هُدَاةً مُهتَدِينَ، غَيرَ ضَالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ، سِلْماً لأَولِيَائِكَ، حَرَباً لأَعدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَن أَحَبَّكَ، ونُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَن خَالَفَكَ[٦٦]».

(أ) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ٤٥١/٥، باب ٣٠، ح ٣٤١٩، من حديث طويل، أوله: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي...».
ورواه ابن خزيمة في صحيحه ١٦٦/٢ ح ١١١٩.
وقال ابن حبان بعد أن ساق الحديث : «هذا باطل»، (المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٢٣١/١) .
وقال الشيخ الألباني: «ضعيف الإسناد»، (ضعيف سنن الترمذي ص ٤٤٥، ح ٦٧٨).
لكن موضع الشاهد من الحديث، وهو قوله: «اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين» صححه بعض العلماء من حديث آخر ، أوله « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي...»الحديث، رواه أحمد في المسند (٣٢٧/٥ ح١٧٨٦١)، والنسائي، وصححه الشيخ الألباني (صحيح سنن النسائي، للألباني ٢٨٠/١-٢٨١، ح١٢٣٧، ١٢٣٨)، وابن حبان في صحيحه (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٣٠٤/٥-٣٠٥، ح١٩٧١)، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (المستدرك ٥٢٤/١-٥٢٥).

طلب الإمامة في الدين

[وَقَد][٦٧] أثنى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى عِبَادِهِ المُؤمِنِينَ[٦٨] الَّذِينَ يَسأَلُونَهُ أَن يَجعلَهُم أَئِمَةً يُهتَدَى بِهِم، فَقَالَ-تَعَالَى- فِي صِفَاتِ عِبَادِهِ[٦٩] : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِن أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلنا لِلمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[أ]، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُهتَدَى[٧٠] بِنَا فِي الخَيرِ[ب]. وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ[ت]: [يُقتَدَى][٧١] بِهُدَانَا[ث]. وَقَالَ مَكحُولُ[ج]: أَئِمَّةً فِي [التَّقوَى][٧٢]، يَقتَدِي بِنَا المُتَّقُونَ[ح][٧٣]. وَقَالَ

(أ) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(ب) رواه الطبري بمعناه، (تفسير الطبري ١٩/ ٣١٩).

(ت) أبو صالح اسمه باذام، ويقال: باذان، مولى أم هاني بنت أبي طالب، حدَّث عنها وعن علي، وابن عباس، وأبي هريرة - رضي الله عنهم، وروى عنه الأعمش، والسدي، وسفيان الثوري وغيرهم، وعامة مايرويه تفسير. (انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٧-٣٨، وتهذيب التهذيب ١/٤١٦-٤١٧).

(ث) أخرجه الفريابي عن أبي صالح، (الدر المنثور، للسيوطي، ٥/١٤٩).

(ج) مكحول، يُكنى أبا عبد الله- وقيل غير ذلك- الدمشقي الفقيه، عالم أهل الشام، تابعي ثقة، مولى امرأة هذلية، قال الترمذي: سمع مكحول من واثلة وأنس وأبي هند، ولم يسمع من أحد من الصحابة سوى هؤلاء. ونفى البخاري سماعه منهم. واختلف في وفاته مابين ١١٢ إلى ١١٨. (انظر: سير أعلام النبلاء ٥/١٥٥-١٦٠، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٨٩-٢٩٣).

(ح) ذكره الواحدي النيسابوري في تفسيره، عن مكحول، (الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/٣٤٩).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة، قال: ((قادة في الخير ودعاة وهداة يؤتم بهم في الخير)) ، (انظر: الدر المنثور ٥/١٤٩).

مُجَاهِدٌ[أ]: اجعَلنَا مُؤتَمِّينَ بِالْمُتَّقِينَ، مُقتَدِينَ بِهِم[ب].

وَأَشكَلَ[٧٤] هَذَا التَّفسِيرُ[٧٥] عَلَى مَن لَم يَعرِف قَدرَ فَهمِ السَّلَفِ وَعُمقَ عِلمِهِم، وَقَالَ: يَجِبُ أَن تَكُونَ[٧٦] الآيَةُ عَلَى هَذَا القَولِ مِن بَابِ[٧٧] المَقلُوبِ[ت]، عَلَى تَقدِيرِ[٧٨]: (وَاجعَل المتَّقِينَ لَنَا أَئِمَّةً)، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَن يَكُونَ شَيءٌ[٧٩] مَقلُوبًا عَلَى[٨٠] وَجهِهِ وَهَذَا مِن تَمَامِ فَهمِ مُجَاهِدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، (فَإِنَّهُ لا يَكُونُ الرَّجُلُ)[٨١] إمَامًا لِلمُتَّقِينَ حَتَّى يَأْتَمَّ بِالْمُتَّقِينَ، فَنَبَّهَ مُجَاهِدٌ عَلَى هَذَا الوَجهِ[٨٢] الَّذِي يَنَالُونَ[٨٣] بِهِ هَذَا المَطلُوبَ (وهو اقتداؤهم)[٨٤] بِالسَّلَفِ المُتَّقِينَ مِن قَبلِهِم فَيَجعَلُهُم اللَّهُ

(أ) مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين، رجَّح الذهبي أنه مولى السائب بن أبي السائب والد عبد الله بن السائب، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب- ﷺ-، روى عن ابن عباس، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وروى عن عدد من الصحابة، وصح عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟. وحدَّث عن مجاهد خلق كثير، توفي سنة ١٠٣هـ وقد نيَّف عن الثمانين. (انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي ١/٦٦-٦٧، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩-٤٥٧، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري ٢/٤١-٤٢، وطبقات المفسرين، للداودي ٢/٣٠٥-٣٠٨).

(ب) رواه الطبري بسنده في تفسيره ١٩/٣٢٠. وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد ، (انظر: الدر المنثور ٥/١٤٩).

(ت) القلب: نوع من أنواع الأسلوب اللغوي. (انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٣/٢٨٨-٢٩٣، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٣/١١٦).

أَئِمَّةً لِلمُتَّقِينَ[٨٥] مِن بَعدِهِم[٨٦] ، وَهَذَا مِن أَحسَنِ الفَهمِ فِي القُرآنِ وَأَلطَفِهِ ، لَيسَ مِن بَابِ القَلبِ فِي شَيءٍ . فَمَن ائْتَمَّ بِأَهلِ السُّنَّةِ (قَبلَهُ[٨٧] ؛ ائتَمَّ بِهِ مَن بَعدَهُ وَمَنْ مَعَهُ)[٨٨].

الكلام على إفراد لفظ ﴿إماماً﴾ من قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾

وَوَحَّدَ- سُبْحَانَهُ- لَفظَ ﴿إِمَامًا﴾ وَلَم يَقُل: وَاجعَلنَا لِلمُتَّقِينَ أَئِمَّةً[٨٩]، **فَقِيلَ**: الإِمَامُ فِي الآيَةِ[٩٠] [جَمعُ][٩١] آمٍّ[٩٢]، نَحوَ: صَاحِبٌ وَصِحَابٌ، وَهَذَا قَولُ[٩٣] الأَخفَشِ[أ][ب]، وَفِيهِ بُعدٌ، وَلَيسَ هُوَ مِن اللُّغَةِ المَشهُورَةِ [المُستَعمَلَةِ][٩٤] المَعرُوفَةِ حَتَّى يُفَسَّرَ بِهَا كَلامُ اللَّهِ[٩٥].

وَقَالَ آخَرُونَ[٩٦] : الإِمَامُ هَنَا مَصدَرٌ لا اسْمٌ[ت][٩٧]، يُقَالُ/: أَمَّ إِمَامًا، نَحوَ: صَامَ صِيَامًا، وَقَامَ قِيَامًا، أَي: اجعَلنَا ذَوِي إِمَامٍ[٩٨]، وَهَذَا[٩٩] أَضعَفُ مِن الَّذِي قَبلَهُ. [٢/ب]

(أ) انظر: معاني القرآن، للأخفش ٣/٤٢٣.

(ب) الأخفش، هو سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى بني مجاشع، يُكْنَى أبا الحسن، صحب الخليل وسيبويه، وكان قدرياً غير غال، من كتبه: معاني القرآن، المسائل الكبير، العروض، وغيرها، توفي سنة ٢١٥هـ على خلاف فيها. (انظر: طبقات النحويين، للزبيدي ٧٤-٧٦. وإنباه الرواة، للقفطي ٢/٣٦-٤٢. وبغية الوعاة، للسيوطي ١/٥٩٠-٥٩١).

(ت) قال الطبري: ((هذا القول... قول نحويي أهل الكوفة))، تفسير الطبري ١٩/٣٢٠، وانظر في: إملاء ما من به الرحمن، للعكبري ٢/١٦٥، والفريد في إعراب القرآن، للهمذاني ٣/٦٤٣.

وَقَالَ الفَرَّاءُ[أ][ب]:إنَّمَا قَالَ: ﴿إِمَامًا﴾، وَلَمْ يَقُل أَئِمَّةً، عَلَى نَحْوِ[١٠٠] قَوْلِهِ[١٠١]: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[ت]، وَلَم يَقُلْ: رَسُولا[ث][١٠٢]، وَهُوَ مِن الوَاحِدِ المُرَادِ بِهِ الجَمْعُ[ج]، لِقَولِ الشَّاعِرِ[١٠٣]:

يَا عَاذِلاَتِي لا [تُرِدْنَ][١٠٤] مَلامَتِي[١٠٥]

إِنَّ [العَوَاذِلَ][١٠٦] لَيسَ[١٠٧] لِي بِأَمِيرِ[ح]

أَي: لَيسَ لِي بِأُمَرَاءَ[١٠٨].

(أ) معاني القرآن، للفراء ٢/٢٧٤.

(ب) الفراء هو أبو زكريا: يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي، وكان من أبرع الكوفيين وأعلمهم، قيل: لولا الفراء ماكانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها، له تصانيف عديدة، منها: المصادر في القرآن، والجمع والتثنية في القرآن، وآلة الكتاب، والحدود. مات بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ. (انظر: طبقات النحويين، للزبيدي١٤٣-١٤٦، وإنباه الرواة، للقطفي ٢/٤٠، ٤/٧-٢٣، وبغية الوعاة، للسيوطي ٢/٣٣٣).

(ت) سورة الشعراء: الآية ١٦.

(ث) مع أن الخطاب لموسى وهارون.

(ج) انظر الصحاح للجوهري ٢/٧٣١ مادة (ظهر).

(ح) لم أجد من نسب البيت، وقال البغدادي-المتوفى عام ١٠٩٣هـ- : ((والبيت مشهور بتداول العلماء إياه في مصنفاتهم، و لم أقف على قائله))،(شرح أبيات مغني اللبيب ٤/٢٨٤)، وقال أيضًا :((وأورده أبو حيان في تذكرته عن الإمام المرزوقي ، بأن فعيلا قد يكون للجمع))، المرجع السابق ٤/٢٨٣. وأورده أيضًا ابن جني في الخصائص ٣/١٧٤، والجوهري في الصحاح ٢/٧٣١ مادة (ظهر)، وغيرهم.

وَهَذَا أَحسَنُ الأَقوَالِ، غَيرَ أَنَّهُ يَحتَاجُ إِلَى(١٠٩) مَزِيدِ(١١٠) بَيَانٍ(أ)، وَهُوَ: أَنَّ المُتَّقِينَ كُلَّهُم(١١١) عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ، (وَمَعبُودُهُم وَاحِدٌ، وَأَتبَاعُ كِتَابٍ وَاحِدٍ، وَنَبِيٍّ وَاحِدٍ، وَعَبِيدُ رَبٍّ وَاحِدٍ. فَدِينُهُم وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُم وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُم وَاحِدٌ، وَمَعبُودُهُم وَاحِدٌ)(١١٢)، فَكَأَنَّهُم كُلُّهُم إِمَامٌ وَاحِدٌ(١١٣) لِمَن بَعدَهُم، لَيسُو(١١٤) كَالأَئِمَةِ (المُختَلِفِينَ الَّذِينَ قَد اختَلَفَت طَرَائِقُهُم، وَمَذَاهِبُهُم، وَعَقَائِدُهُم)(١١٥)، فَالائتِمَامُ إِنَّمَا هُوَ بِمَا هُم عَلَيهِ، وَهُوَ شَيءٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الإِمَامُ فِي الحَقِيقَةِ.

فصل

سببا نيل إمامة الدين

وَقَد أَخبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الإِمَامَةَ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبرِ [وَاليَقِينِ](١١٦) فَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(ب)،

(أ) ذكر حسين بن أبي العز الهمذاني -ت٦٦٣هـ- في المسألة السابقة ستة أقوال، (انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/٦٤٣-٦٤٤)، لكنَّ خمسة منها تدخل في الأقوال الثلاثة التي ذُكرت، أما القول السادس عنده فقد ذكره ابن القيم بياناً للقول الثالث.

(ب) سورة السجدة: الآية ٢٤.

فَبِالصَّبرِ وَاليَقِينِ تُنَالُ الإمَامَةُ فِي الدِّينِ(أ)(١١٧).

فَقِيلَ: بِالصَّبرِ عَنِ الدُّنيا(ب).

وَقِيلَ: بِالصَّبرِ(١١٨) عَلَى البَلاءِ(١١٩).

وَقِيلَ: بِالصَّبرِ(١٢٠) عَنِ [المَنَاهِي](١٢١).

وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ بِالصَّبرِ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ، بِالصَّبرِ [عَلَى](١٢٢) أَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَالصَّبرِ عَن مَحَارِمِهِ، وَالصَّبرِ عَلَى أَقدَارِهِ.

حكمة الجمع بين الصبر واليقين في آية السجدة

وَجَمَعَ - سُبْحَانَهُ - بَينَ الصَّبرِ وَاليَقِينِ(١٢٣)؛ إذ هُمَا(١٢٤) سَعَادَةُ العَبدِ، وَفَقدُهُمَا يُفقِدُهُ(١٢٥) سَعَادَتَهُ، فَإنَّ القَلبَ تَطرُقُهُ طَوَارِقُ(١٢٦) الشَّهَوَاتِ المُخَالِفَةِ لأَمرِ اللَّهِ(١٢٧)، وَطَوَارِقُ(١٢٨) الشُّبُهَاتِ المُخَالِفَةِ لِخَبَرِهِ فَبِالصَّبرِ يَدفَعُ الشَّهَوَاتِ، وَبِاليَقِينِ(١٢٩) يَدفَعُ(١٣٠) الشُّبُهَاتِ(ت). فَإنَّ الشَّهوَةَ وَالشُّبهَةَ مُضَادَّتَانِ(١٣١) لِلدِّينِ مِن كُلِّ وَجهٍ، فَلا يَنجُو مِن

(أ) قال ابن القيم في مدارج السالكين ١٥٤/٢: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة....﴾الآية»، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٤٢/٢٨.

(ب) رُوي عن الحسن البصري، وقتادة، والثوري، (انظر: الكشاف، للزمخشري ٢٤٦/٣، وتفسير ابن كثير ٤٧٢/٣، والدر المنثور ٣٤٣/٥).

(ت) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ١٠٦/١.

عَذَابِ اللَّهِ[١٣٢] إلا مَن[١٣٣] دَفَعَ شَهوَاتِهِ بِالصَّبرِ، وَشُبُهَاتِهِ بِاليَقِينِ؛ وَلِهَذَا أَخبَرَ -سُبْحَانَهُ - عَن حُبُوطِ أَعمَالِ أَهلِ الشَّهوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ فَقَالَ- تَعَالَى-: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُم قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَولاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[أ]، فَهَذَا[١٣٤] الاستِمتَاعُ بِالخَلاقِ هُوَ استِمتَاعُهُم[١٣٥] بِنَصِيبِهِم مِن الشَّهوَاتِ، (ثُمَّ قَالَ: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾، وَهَذَا هُوَ الخَوضُ بِالبَاطِلِ[١٣٦] فِي دِينِ اللَّهِ وَهُوَ خَوضُ أَهلِ الشُّبُهَاتِ[ب]. ثُمَّ قَالَ: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[ت])[١٣٧]، فَعَلَّقَ - سُبْحَانَهُ- حُبُوطَ الأَعمَالِ وَالخُسرَانِ (بِاتِّبَاعِ الشَّهوَاتِ الَّذِي هُوَ الاستِمتَاعُ بِالخَلاقِ، وَبِاتِّبَاعِ الشُّبُهَاتِ الَّذِي هُوَ الخَوضُ بِالبَاطِلِ)[١٣٨].

[٣/أ]

(أ) سورة التوبة: الآية ٦٩.

(ب) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٠٧.

(ت) سورة التوبة: الآية ٦٩.

فصل[139]

الأصول التي تضمنها قوله تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾

وَكَمَا أَنَّهُ- سُبْحَانَهُ- عَلَّقَ الإِمَامَةَ فِي الدِّينِ بِالصَّبرِ وَاليَقِينِ[140] فَالآيَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لأَصلَينِ آخَرَين[141]:

أَحَدُهُمَا: الدَّعوَةُ إِلَى اللَّهِ وَهِدَايَةُ خَلقِهِ[142].

الثَّانِي: هِدَايَتُهُم بِمَا أَمَرَ بِهِ[143] عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ-ﷺ-، لابِمُقتَضَى (عُقُولِهِم، وَآرَائِهِم، وَسِيَاسَاتِهِم، وأَذوَاقِهِم[144]، وَتَقلِيدِ أَسلافِهِم)[145] بِغَيرِ بُرهَانٍ مِن اللَّهِ، لأَنَّهُ قَالَ: ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . . . ﴾[أ] [146].

فَهَذِهِ أَربَعَةُ أُصُولٍ تَضَمَّنَتهَا هَذِهِ الآيَةُ:

الأصل الأول

أَحَدُهَا: **الصَّبرُ**، (وَهُوَ حَبسُ النَّفسِ عَن مَحَارِمِ اللَّهِ، وَحَبسُهَا عَلَى فَرَائِضِهِ، وَحَبسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ وَالشِّكَايَةِ لأَقدَارِهِ)[147].

الأصل الثاني

الثَّانِي: **اليَقِينُ** ، وَهُوَ الإِيمَانُ الجَازِمُ الثَّابِتُ الَّذِي لارَيبَ [فِيهِ][148] وَلاتَرَدُّدَ وَلاشَكَّ[149] وَلاشُبهَةَ بِخَمسَةِ أُصُولٍ، ذَكَرَهَا سُبْحَانَهُ فِي قَولِهِ-تَعَالى-: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

(أ) سورة السجدة: الآية ٢٤.

وَالمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنبِيِّينَ﴾[أ]، وَفِي قَولِهِ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[ب]، وَفِي قَولِهِ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[ت]، وَالإِيمَانُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ[١٥٠] دَاخِلٌ فِي الإِيمَانِ بِالكُتُبِ وَالرُّسُلِ.

(وَجَمَعَ بَينَهُمَا النَّبِيُّ -ﷺ- فِي حَدِيثِ عُمَرَ، فِي قَولِهِ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ»[ث])[١٥١].

فَهَذِهِ الأُصُولُ الخَمسُ[١٥٢]، مَن لَم يُؤمِن بِهَا فَلَيسَ بِمُؤمِنٍ. وَاليَقِينُ: أَن يَقُومَ[١٥٣] الإِيمَانُ بِهَا حَتَّى تَصِيرَ كَأَنَّهَا مُعَايَنَةٌ لِلقَلبِ مُشَاهَدَةٌ / لَهُ، نِسبَتُهَا إِلَى البَصِيرَةِ[١٥٤] كَنِسبَةِ الشَّمسِ [٣/ب]

(أ) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(ب) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(ت) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(ث) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

صحيح البخاري ٢٢/١. كتاب الإيمان. باب ٣٨- سؤال جبريل النبي -ﷺ- عن الإيمان والإسلام ح٥٠.

صحيح مسلم ٣٦/١. كتاب الإيمان. باب ١- بيان الإيمان والإسلام ح١.

وَالقَمَرِ[155] إلَى البَصَرِ[أ]، وَلِهَذَا قَالَ مَن قَالَ مِن السَّلَفِ: [«اليَقِينُ الإيمَانُ كُلُّهُ»[ب]][156].

الأصل الثالث

الثالِثُ: هِدَايَةُ[157] الخَلقِ وَدَعوَتُهُم[158] إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ[159]:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[ت]. قَالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ[160]: «هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، أَسلَمَ لِلَّهِ، وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ، وَدَعَا الخَلقَ إلَيهِ، فَهَذَا النَّوعُ[161] أَفضَلُ أَنوَاعِ[162] الإنسَانِ وَأَعلاهُم دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ يَومَ القِيَامَةِ[163]»[ث].

(أ) قال ابن القيم في مدارج السالكين: «المعاينة نوعان: معاينة بصر، ومعاينة بصيرة. فمعاينة البصر: وقوعه على نفس المرئي، أو مثاله الخارجي، كرؤية مثال الصورة في المرآة والماء. ومعاينة البصيرة: وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي. فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العين للصورة الخارجية...» (٣/٢٤٨).

(ب) رواه وكيع عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - موقوفاً، ولفظه: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله» كتاب الزهد لوكيع ٢/٤٥٦، أثر رقم ٢٠٣.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/١٠٧ ح٨٥٤٤. وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ١/٢٢٠. والأثر أخرجه غير هذين، انظر تخريجه كاملاً في حاشية كتاب الزهد لوكيع ٢/٤٥٦-٤٥٨.

(ت) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(ث) رواه ابن المبارك في الزهد ٢/٨٤١ أثر رقم ١١٢٠، ورواه الطبري في تفسيره ٢١/٤٦٩.
وهو عندهما باللفظ التالي - مع اختلاف يسير بينهما - «كان إذا تلا ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾، قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين...»، (الزهد ٢/٨٤١).

وَهُم ثَنِيَّةُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ-[١٦٤] مِن الخَاسِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالعَصرِ إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[أ]، فَأَقسَمَ -سُبْحَانَهُ- عَلَى خُسرَانِ نَوعِ[١٦٥] الإنسَانِ، إلا مَن كَمَّلَ نَفسَهُ بِالإيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَمَّلَ غَيرَهُ بِوَصِيَّتِهِ لَهُ بِهِمَا؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ- رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لَو فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُم فِي سُورَةِ العَصرِ[١٦٦] لَكَفَتهُم»[ب].

وَلا يَكُونُ مِن أَتبَاعِ الرَّسُولِ عَلَى الحَقِيقَةِ إلا مَن دَعَا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ[١٦٧]، قَالَ اللَّهُ- تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَي اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[ت]، فَقَولُهُ: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ تَفسِيرٌ لِسَبِيلِهِ [الَّتِي][١٦٨] هُوَ عَلَيهَا، (فَسَبِيلُهُ وَسَبِيلُ أَتبَاعِهِ: الدَّعوَةُ إِلَى اللَّهِ، فَمَن لَم يَدعُ إِلَى اللَّهِ فَلَيسَ عَلَى سَبِيلِهِ)[١٦٩].

(أ) سورة العصر: الآيتان ٢-٣.

(ب) ذكره ابن كثير في تفسيره بلفظ: «لوتدبر الناس هذه السورة لوسعتهم» ٤/٥٨٥.

(ت) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

من معاني البصيرة في اللغة

وَقَولُهُ: ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ **قَالَ** ابنُ الأعرابيِّ[أ]: البَصِيرَةُ الثَبَاتُ فِي الدِّينِ[ب](170).

وَقِيلَ[ت]: البَصِيرَةُ(171): العِبرَةُ، كَمَا يُقَالُ: ([أَلَيسَ](172) لَكَ فِي كَذَا بَصِيرَةٌ، أي: عِبرَةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ)(173):

فِي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ مِن القُرُونِ لَنَا(174) بَصَائِرُ[ث]

وَالتحقيقُ: العِبرَةُ ثَمَرَةُ(175) البَصِيرَةِ، فَإِذَا تَبَصَّرَ اعتَبَرَ(176)، فَمَن عُدِمَ العِبرَةُ فَكَأَنَّهُ لا بَصِيرَةَ لَهُ.

وَأَصلُ اللَّفظِ مِن الظُّهُورِ وَالبَيَانِ، فَالقُرآنُ بَصَائِرُ، أَي: أَدِلَّةٌ وَهُدًى وَبَيَانٌ[ج] يَقُودُ إِلَى الحَقِّ، (وَيَهدِي إِلَى الرُّشدِ،

(أ) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، من موالي بني هاشم، كان نحوياً، عالماً باللغة والشعر، ناسباً، قال الذهبي: «وكان صاحب سنة واتباع»، (سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٨). له عدة كتب في النوادر، وله كتاب الأنواء، وصفه الخيل، ومعاني الشعر، وغير ذلك. توفي سنة ٢٣١هـ وقد جاوز الثمانين. (انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، ص ٢١٣-٢١٥، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي ٣/١٢٨-١٣١، وبغية الوعاة، للسيوطي ١/١٠٥-١٠٦).

(ب) لسان العرب ٤/٦٥، وتاج العروس ١٠/٢٠٩، ولم ينسباه لأحد. وقال في تاج العروس: «وعن ابن الأعرابي: أبصر الرجل إذا خرج من الكفر إلى بصيرة الإيمان...» ١٠/٢٠٩.

(ت) كتاب العين، للخليل، ذكر القول والشاهد ٧/١١٨.

(ث) نسبه الجاحظ ضمن خمسة أبيات لقس بن ساعدة، (البيان والتبيين ١/٣٠٩).

(ج) انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٤.

وَلِهَذَا يُقَالُ لِلطَّرِيقَةِ مِن [الـدَّمِ][177] الَّتِي يُستَدَلُّ بِهَا عَلَى الرَّمِيَّةِ[178]: بَصِيرَةٌ)[أ][179].

[4/أ]

فَدَلَّت الآيَةُ / أَيضًا عَلَى [أَنَّ][180] مَن لَم يَكُن عَلَى بَصِيرَةٍ فَلَيسَ مِن أَتبَاعِ الرَّسُولِ، وَأَنَّ أَتبَاعَهُ هُم أُولُو البَصَائِرِ[181]، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، فَإنْ كَانَ المَعنَى: أَدعُوا إِلَى اللَّهِ أَنَا وَمَن اتَّبَعَنِي، وَيَكُونُ ﴿مَن اتَّبَعَنِي﴾ مَعطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ المَرفُوعِ فِي ﴿أَدْعُوا﴾[ب] -وَحَسُنَ[182] العَطفُ[ت]؛ لأَجلِ الفَصلِ- فَهُوَ دَلِيلُ عَلَى أَنَّ أَتبَاعَ الرَّسُولِ هُم الَّذِينَ يَدعُونَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ[183].

تقدير العطف في قوله تعالى: ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾

وَإنْ كَانَ مَعطُوفًا[184] عَلَى الضَّمِيرِ المَجرُورِ فِي ﴿سَبِيلِي﴾ أَي: هَذِهِ سَبِيلِي[185] وَسَبِيلُ مَن اتَّبَعَنِي[186] فَكَذَلِكَ[ث].

وَعَلَى التَّقدِيرَينِ فَسَبِيلُهُ وَسَبِيلُ أَتبَاعِهِ الدَّعوَةُ إِلَى اللَّهِ.

(أ) قال الجوهري: «قال الأصمعي: والبصيرة شيء من الدَّم يستدل به على الرَّمية» (الصحاح ٢/٥٩٢).

(ب) انظر: إعراب القرآن، للنحاس ٢/١٦٠. وتفسير النسفي ٢/١٣٣.

(ت) قال ابن القيم: «أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة» مفتاح دار السعادة ١/١٥٤.

(ث) ذكر ابن القيم - رحمه الله- هذه المسألة في (مدارج السالكين ٢/٤٨٢، وجلاء الأفهام ص ٣١٧، ومفتاح دار السعادة ١/١٥٤، والصواعق المرسلة ١/١٥٥).

الأصل الرابع

الأصلُ الرَّابعُ قولُهُ :﴿ يهدُونَ بأمرِنَا ﴾[أ] ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلُ عَلَى اتِّبَاعِهِم مَا أنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَهِدَايَتِهِم بِهِ وَحدَهُ دُونَ غَيرِهِ مِن الأَقوَالِ وَالآرَاءِ وَالنِّحَلِ وَالمَذَاهِبِ ، بَل لا يَهدُونَ إلا بِأَمرِهِ خَاصَّةً .

خلاصة في الأصول التي تضمنتها آية سورة السجدة

فَحَصَلَ مِن هَذَا : أَنَّ أَئِمَّةَ الدِّينِ الَّذِينَ يَقتَدُونَ بِهِم هُم الَّذِينَ جَمَعُوا بَينَ الصَّبرِ وَاليَقِينِ وَالدَّعوَةِ إِلَى اللَّهِ بِالسُّنَّةِ وَالوَحيِ لا بِالآرَاءِ وَبِالبِدَعِ ، فَهَؤُلاءِ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ فِي أُمَتِهِ ، وَهُم خَاصَّتُهُ وَأَولِيَاؤُهُ ، وَمَن عَادَاهُم أَو حَارَبَهُم فَقَد عَادَى اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَآذَنَهُ بِالحَربِ[ب].

قَالَ الإمَامُ أَحمَدُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فِي خُطبَةِ كِتَابِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الجَهمِيَّةِ[ت] : « الحَمدُ للَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ

(أ) سورة السجدة: من الآية ٢٤.

(ب) روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ « إنَّ اللَّه قال : مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب » ، صحيح البخاري ٢٤٣/٧، ح٦٥٠٢ .

(ت) الجهمية أتباع جهم بن صفوان السمرقندي ، أبي محرز مولى بني راسب من الأزد ، قُتل في آخر ملك بني أمية.
وهم من الفرق الضالة التي خالفت أهل السنة ، ومن مخالفاتهم أنهم يقولون: إن الإيمان عقد بالقلب فقط ، وإن علم الله محدث مخلوق ، وإنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ، وإن الجنة والنار تفنيان ويفنى من فيهما، تعالى الله عما يقولون .(انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل،لابن حزم ٢٩٦/٢-٢٩٧،٢٦٦، ٧٣/٥ ،والملل والنحل،للشهرستاني ٨٦/١-٨٧) .

فَترَةٍ مِن الرُّسُلِ [بَقَايَا][187] مِن أَهلِ العِلمِ يَدعُونَ مَن ضَلَّ إِلَى الهُدَى وَيَصبِرُونَ مِنهُم عَلَى الأَذَى ، يُحيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ المَوتَى، [وَيُبَصِّرُونَ][188] بِنُورِ اللَّهِ أَهلَ العَمَى ، فَكَم مِن قَتِيلٍ لإِبلِيسَ قَد أَحيَوهُ ، وَكَم مِن [ضَالٍّ][189] تَائِهٍ قَد هَدَوهُ ، فَمَا أَحسَنَ أَثَرَهُم عَلَى النَّاسِ ! وَمَا أَقبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيهِم ! يَنفُونَ عَن كِتَابِ اللَّهِ تَحرِيفَ الغَالِينَ وَانتِحَالَ المُبطِلِينَ وَتَأوِيلَ الجَاهِلِينَ الَّذِينَ عَقَدُوا أَلوِيَةَ البِدعَةِ ، وَأَطلَقُوا عِنَانَ الفِتْنَةِ ، فَهُم يَختَلِفُونَ فِي الكِتَابِ ، مُخَالِفُونَ لِلكِتَابِ ، مُجمِعُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الكِتَابِ ، يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ وَفِي اللَّهِ / وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ ، يَتَكَلَّمُونَ بِالمُتَشَابِهِ مِن الكَلَامِ ، وَيَخدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيهِم ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِن فِتَنِ المُضِلِّينَ »[أ] . [4/ب]

فصل

طرق تحصيل اللذة والنعيم وطرق دفع أضداد ذلك

وَمِمَّا يَنبَغِي الاعتِنَاءُ بِهِ عِلمًا وَمَعرِفَةً وَقَصدًا وَإِرَادَةً : العِلمُ بِأَنَّ كُلَّ إِنسَانٍ، بَل كُلَّ حَيَوَانٍ، إِنَّمَا يَسعَى فِيمَا يُحَصِّلُ لَهُ اللَّذَّةَ وَالنَّعِيمَ وَطِيبَ العَيشِ، وَيَندَفِعُ بِهِ عَنهُ أَضدَادُ ذَلِكَ ، وَهَذَا مَطلُوبٌ صَحِيحٌ يَتَضَمَّنُ سِتَّةَ أُمُورٍ :

(أ) الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، ص٨٥ .

أحدُهَا : مَعرفَـةُ الشَّـيءِ النَّـافعِ لِلعَبـدِ المُلائِـمِ لَـهُ الَّـذِي بِحُصُولِهِ لَذَّتهُ وَفَرَحُهُ وَسُرُورُهُ وَطِيبُ عَيشِهِ .

الثَّانِي : مَعرِفَةُ الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إِلَى ذَلِكَ .

الثَّالِثُ : سُلُوكُ تِلكَ الطَّرِيقِ .

الرَّابِعُ: مَعرِفَةُ الضَّارِ المُؤذِي المُنَافِرِ الَّذِي يُنْكِدُ عَلَيهِ حَيَاتَهُ.

الخَامِسُ : مَعرِفَةُ الطَّرِيقِ الَّتِي إِذَا سَلَكَهَا أَفضَـت بِـهِ إِلَـى ذَلِكَ.

السَّادِسُ : تَجَنُّبُ سُلُوكِهَا .

فَهَذِهِ سِتَةُ أُمُورٍ لا تَتِمُّ لَذَّةُ العَبدِ وَسُـرُورُهُ وَفَرَحُـهُ وَصَـلاحُ حَالِهِ إلا [بِاستِكمَالِهَا](١٩٠) ، وَمَا نَقَصَ مِنهَـا عَـادَ(١٩١) بِسُـوءِ حَالِهِ، وَتَنكِيدِ حَيَاتِهِ(١٩٢).

أغلاط الناس في تحصيل اللذة والنعيم

وَكُلُّ عَاقِلٍ يَسعَى فِي هَذِهِ الأُمُورِ، لَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ غَلِطَ فِي تَحصِيلِ هَذَا المَطلُوبِ المَحبُوبِ النَّافِعِ(١٩٣)، إِمَّا فِـي عَـدَمِ تَصَوُّرِهِ(١٩٤) وَمَعرِفَتِهِ، وَإِمَّا فِي عَـدَمِ مَعرِفَتِـهِ الطَّرِيـقَ المُوصِلَـةَ إِلَيهِ. فَهَذَانِ غَلَطَانِ سَبَبُهُمَا الجَهـلُ، [وَيُتَخَلَّـصُ](١٩٥) مِنهُمَـا بِالعِلمِ.

كيف يتخلص المرء من الشهوات والإرادات التي تعترض القلب ؟

وَقَد يَحصُلُ لَهُ العِلمُ بِالمَطلُوبِ، وَالعِلمُ بِطَرِيقِـهِ، لَكِـنْ فِـي قَلبِـهِ إِرَادَاتٌ(١٩٦) وَشَهَوَاتٌ تَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ قَصدِ هَذَا المَطلُوبِ النَّافِـعِ(١٩٧) وَسُلُوكِ طَرِيقِهِ، (فَكُلَّمَا أَرَادَ [ذَلِـكَ](١٩٨) اعتَرَضَتـهُ

تِلكَ الشَّــهَوَاتِ وَالإِرَادَاتِ، وَحَـالَت بَينَـهُ [وَبَينَـهُ](١٩٩)، وَهُـوَ لايُمكِنُهُ تَركُهَا وَتَقدِيمُ هَذَا المَطلُوبِ)(٢٠٠) عَلَيهَا إلا بِأَحَدِ(٢٠١) أَمرَينِ:

إِمَّا حُبٌ مُتَعَلِّقٌ(٢٠٢)، وَإِمَّا فَرَقٌ(أ) مُزعِجٌ(٢٠٣).

(فَيَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالدَّارُ الآخِرَةُ وَالجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا أَحَبَّ إِلَيهِ مِن هَذِهِ الشَّهَوَاتِ)(٢٠٤)، (وَيَعلَمُ أَنَّهُ [لايُمكِنُهُ](٢٠٥) الجَمعُ بَينَهُمَا، فَيُؤثِـرَ أَعَلَى المَحبُوبَينِ عَلَى أَدنَاهُمَا، وَإِمَّا أَنْ / [٥/أ] يَحصُلَ لَهُ **عِلْمُ** مَا يَترَتَّبُ عَلَى إِيثَارِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ مِنَ المَخَاوِفِ وَالآلامِ الَّتِي أَلَمُهَا أَشَدُّ مِن أَلَمِ فَوَاتِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَأَبقَى. فَإِذَا تَمَكَّنَ مِن قَلبِهِ هَذَانِ العِلمَانِ أَنْتَجَا لَهُ إِيثَارُ مَا يَنبَغِي إِيثَارُهُ وَتَقدِيمُهُ عَلَى مَاسِوَاهُ)(٢٠٦)؛ فَإِنَّ خَاصِّيَّةَ(٢٠٧) العَقلِ إِيثَارُ أَعَلَى المَحبُوبَينِ عَلَى أَدنَاهُمَا(٢٠٨)، وَاحتِمَالُ أَدنَى المَكرُوهَينِ لِيَتَخَلَّصَ بِهِ مِن أَعلاهُمَا(ب).

وَبِهَذَا الأَصْلِ تَعرِفُ عُقُولَ النَّاسِ، [وَتُمَيِّزُ](٢٠٩) بَينَ العَاقِلِ وَغَيرِهِ(٢١٠)، وَيَظهَرُ تَفَاوُتُهُمْ فِي العُقُولِ(٢١١). فَأَينَ(٢١٢) عَقلُ مَن آثَرَ لَذَّةً عَاجِلَةً مُنَغِّصَةً(٢١٣) مُنْكِدَةً- إِنَّمَا هِيَ(٢١٤)

(أ) أي: خوف، (لسان العرب ١٠/٣٠٤).

(ب) زاد ابن القيم هذا الكلام بياناً في الداء والدواء ص ٣١٠.

كَأَضْغَاثِ أَحلامٍ، أَو كَطَيفٍ يُمَتِّعُ[٢١٥] بِهِ مِن [زَائِرِهِ][٢١٦] فِي المَنَامِ-[٢١٧]، عَلَى لَذَّةٍ هِيَ مِن أَعظَمِ اللَّذَّاتِ، وَفَرْحَةٍ وَمَسَرَّةٍ هِيَ مِن أَعظَمِ المَسَرَّاتِ[٢١٨]، دَائِمَةً لاتَزُولُ (وَلاتَفنَى وَلاتَنقَطِعُ؛ فَبَاعَهَا بِهَذِهِ اللَّذَّةِ الفَانِيَةِ المُضْمَحِلَّةِ الَّتِي حُشِيَت بِالآلامِ، وَإِنَّمَا حَصَلَت بِالآلامِ، وَعَاقِبَتُهَا الآلامُ ؟ فَلَو قَايَسَ العَاقِلُ بَينَ لَذَّتِهَا[٢١٩] وَأَلَمِهَا، وَمَضَرَّتِهَا وَمَنفَعَتِهَا لاستَحيَا مِن نَفسِهِ وَعَقلِهِ، كَيفَ يَسعَى فِي طَلَبِهَا ! وَيُضِيعُ زَمَانَهُ فِي اشتِغَالِهِ بِهَا ! فَضلاً عَن إِيثَارِهَا عَلَى «مَا لاَ عَينٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ!»[أ])[٢٢٠].

وَقَد اشتَرَى -سُبْحَانَهُ- مِن المُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم، [وَجَعَلَ][٢٢١] ثَمَنَهَا جَنَّتَهُ[ب]، [وَأَجرَى هَذَا][٢٢٢] العَقدَ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ (وَخَلِيلِهِ وَخِيرَتِهِ مِن خَلقِهِ[ت]. فَسِلعَةٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ

(أ) اقتباس من الحديث القدسي المتفق عليه في وصف الجنة، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ٨-ماجاء في وصف الجنة ٤/١٠٣ ح ٣٢٤٤. وصحيح مسلم، كتاب الجنة، ٤/٢١٧٤. ح٢.

(ب) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾ الآية، [سورة التوبة:١١١].

(ت) روى الطبري بسنده عن عبد الله بن رواحة- ﷺ- أنه قال لرسول الله- ﷺ-: اشترط لربك ولنفسك ماشئت. قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم». قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا؟ قال: «الجنة». قالوا: ربح البيع، لانقيل ولانستقيل. فنزلت: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ الآية. تفسير الطبري ١٤/٤٩٩. ح١٧٢٧٠.

مُشتَرِيهَا، وَالتَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجهِهِ الكَرِيمِ وَسَمَاعُ كَلامِهِ مِنهُ فِي دَارِهِ ثَمَنُهَا، وَمِنْ [جَرْيِ العَقدِ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ][223])[224]، كَيفَ يَلِيقُ بِالعَاقِلِ أَنْ يُضيعَهَا وَيُهمِلَهَا وَيَبِيعَهَا بِثَمَنٍ بَخسٍ، فِي دَارٍ زَائِلَةٍ مُضمَحِلَّةٍ فَانِيَةٍ![225] وَهَل هَذَا إِلا مِن أَعظَمِ الغَبنِ؟[226]، وَإِنَّمَا يَظهَرُ لَهُ هَذَا الغَبنُ[227] الفَاحِشُ[228] يَومَ التَّغَابُنِ، إِذَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ المُتَّقِينَ وَخَفَّتْ مَوَازِينُ المُبطِلِينَ.

فصل

الحياة السعيدة النافعة

[٥/ب]

إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ المُقَدِّمَةَ فَاللَّذَّةُ التَّامَّةُ، وَالفَرَحُ / وَالسُّرُورُ[229]، وَطِيبُ العَيشِ، وَالنَّعِيمُ، إِنَّمَا هُوَ فِي مَعرِفَةِ اللَّهِ، وَتَوحِيدِهِ، وَالأُنْسِ بِهِ، وَالشَّوقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَاجتِمَاعِ القَلبِ وَالهَمِّ عَلَيهِ. فَإِنَّ أَنكَدَ العَيشِ عَيشُ مَن قَلبُهُ مُشَتَّتٌ، وَهَمُّهُ مُفَرَّقٌ[230]، فَلَيسَ لِقَلبِهِ مُستَقَرٌّ يَستَقِرُّ عِندَهُ[231]، وَلاحَبِيبٌ يَأوِي إِلَيهِ[232] وَيَسكُنُ إِلَيهِ، كَمَا أَفصَحَ القَائِلُ عَن ذَلِكَ بِقَولِهِ[233]:

وَمَاذَاقَ طَعمَ العَيشِ مَنْ لَم[234] يَكُنْ لَهُ
حَبِيبٌ إِلَيهِ يَطمَئِنُّ وَيَسكُنُ

(فَالعَيشُ الطَّيِّبُ، وَالحَيَاةُ النَّافِعَةُ، وَقُرَّةُ العَينِ فِي السُّكُونِ وَالطُّمَأْنِينَةِ إلَى الحَبِيبِ الأَوَّلِ)[٢٣٥]، وَلَو تَنَقَّلَ القَلبُ فِي المَحبُوبَاتِ كُلِّهَا لَم يَسكُنْ وَلَمْ يَطمَئِنَّ [إِلَى شَيءٍ مِنهَا][٢٣٦]، وَلَم تَقَرَّ [بِهِ][٢٣٧] عَينُهُ حَتَى يَطمَئِنَّ إِلَى إِلَهِهِ وَرَبِّهِ[٢٣٨] وَوَلِيِّهِ، الَّذِي لَيسَ لَهُ مِن دُونِهِ وَلِيٌ وَلا شَفِيعٌ، (وَلا غِنًى لَهُ عَنهُ طَرفَةَ عَينٍ، كَمَا قَالَ القَائِلُ[٢٣٩]:

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيثُ...[٢٤٠] شِئْتَ مِنَ الهَوَى
مَا الحُبُّ إلا لِلحَبِيبِ[٢٤١] الأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى
وَحَنِينُهُ[٢٤٢] أَبَدًا لأَوَّلِ مَنزِلِ[أ])[٢٤٣]

فَاحرَصْ أَنْ يَكُونَ هَمُّكَ وَاحِدًا، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ اللَّهَ وَحدَهُ، فَهَذَا غَايَةُ سَعَادَةِ العَبْدِ[٢٤٤]. وَصَاحِبُ هَذِهِ الحَالِ[٢٤٥] فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ قَبلَ جَنَّةِ الآخِرَةِ، وَفِي نَعِيمٍ عَاجِلٍ[٢٤٦]، كَمَا قَالَ بَعضُ الوَاجِدِينَ[٢٤٧]: «إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالقَلبِ أَوقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهلُ الجَنَّةِ فِي مِثلِ هَذَا إِنَّهُم لَفِي عَيشٍ طَيِّبٍ»[ب]. وَقَالَ

(أ) البيتان لأبي تمام ضمن أربعة أبيات، انظرها في شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ٢/٢٩٠.

(ب) ذكره المؤلف في روضة المحبين ص١٦٥، وفي مدارج السالكين قال: «وقال بعض العارفين» ١/٤٥٤.

آخَرُ: «إنَّهُ لَيَمرُّ بِالقلبِ أَوقاتٌ يَرقُصُ فِيهَا طَرَبًا». وَقَالَ آخَرُ: «مَسَاكِينُ أَهلُ الدُّنيَا! خَرَجُوا مِنهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ ... [٢٤٨] مَافِيهَا. قِيلَ لَهُ: وَمَا أَطيَبُ مَافِيهَا؟[٢٤٩] قَالَ: مَعرِفَةُ اللَّهِ، وَمَحبَّتُهُ، وَالأُنْسُ بِقُربِهِ[٢٥٠]، وَالشَّوقُ إِلَى لِقَائِهِ»[أ].

الفرق بين المحبة وقرّة العين

وَلَيسَ فِي الدُّنيَا نَعِيمٌ يُشبِهُ نَعِيمَ أَهلِ[٢٥١] الجَنَّةِ إلا هَذَا، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، والطِّيبُ. وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَينِي فِي الصَّلاَةِ»[ب]، فَأَخبَرَ أَنَّهُ حُبِّبَ إِلَيهِ مِن الدُّنيَا شَيئَانِ / :«النِّسَاءُ وَالطِّيبُ»[٢٥٢]، ثُمَّ قَالَ: «وَجُعِلَت قُرَّةُ عَينِي فِي الصَّلاةِ»[٢٥٣]. [٦/أ]

وَقُرَّةُ العَينِ فَوقَ المَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ لَيسَ كُلُّ مَحبُوبٍ تَقَرُّ بِهِ [العَينُ][٢٥٤]، وَإِنَّمَا تَقَرُّ العَينُ[٢٥٥][بِأَعلَى][٢٥٦] المَحبُوبَاتِ،

(أ) نقله المؤلف في روضة المحبين (ص١٦٥) عن (بعض العارفين)، وفي مدارج السالكين، عن (بعض المحبين)، ١/٤٥٤.

(ب) رواه الإمام أحمد، (المسند ٤/٢٠١،ح١٣٦٢٣، ٣/٥٨١،ح١١٨٨٤، وح١١٨٨٥).
ورواه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ٧/٧٢، ح٣٩٤٩.
والحاكم في المستدرك، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه». ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/١٦٠).
وجوَّد إسناده العراقي، (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار -بحاشية إحياء علوم الدين للغزالي- ٢/٣٠)
وقال الشيخ الألباني : «إسناده حسن»، (تحقيق مشكاة المصابيح ٣/١٤٤٨، ح٥٢٦١).

الَّـذِي يُـحَـبُّ لِـذَاتِـهِ، وَلَـيـسَ ذَلِكَ إلا الـلَّـهُ[٢٥٧]- الَّذِي لاَإِلَهَ إلا هُـوَ-، وَكُـلُّ مَـا سِـوَاهُ فَإِنَّمَـا يُحَـبُّ تَبَعًـا لِمَحَبَّتِـهِ فَـيُـحَـبُّ لأَجْلِـهِ وَلا يُحَـبُّ مَعَـهُ [أ] ، فَـإِنَّ الحُـبَّ مَعَـهُ شِـركٌ، وَالـحُــبَّ لأَجـلِـهِ تَـوحِـيدٌ. فَـالمُشرِكُ يَتَّخِـذُ...[٢٥٨] مِـن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّهُـم كَحُـبِّ اللَّـهِ، وَالمُوَّحِـدُ إِنَّمَـا يُحِـبُّ مَـن يُـحِـبُّهُ للَّهِ[٢٥٩]، وَيُبغِضُ مَن يُبغِضُهُ فِـي اللَّـهِ[٢٦٠]، وَيَفعَـلُ مَـا يَفعَلُهُ[٢٦١] للَّهِ، وَيَترُكُ مَا يَترُكُهُ[٢٦٢] للَّهِ. وَمَدَارُ الدِّينِ عَلَـى هَـذِهِ القَوَاعِـدِ الأَربَعَـةِ[٢٦٣]، وَهِـيَ: الحُـبُّ وَالبُغـضُ، وَيَـتَـرَتَّبُ[٢٦٤] [عَلَيهِمَا][٢٦٥] الفِعلُ وَالتَّركُ وَالعَطَاءُ وَالمَنعُ. فَمَن استَكمَلَ أَنْ يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ للَّهِ استَكمَلَ[٢٦٦] الإِيمَانَ، وَمَـا نَقَـصَ مِنهَـا أَنْ يَكُونَ للَّهِ عَادَ يَنقُصُ إِيمَانُ العَبدِ[٢٦٧][ب] .

(أ) انظر العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٠) .

(ب) روى أبو داود عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ((من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان))، (سنن أبي داود ٥/٦٠، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح٤٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة١/٦٥٧-٦٥٨، ح٣٨٠)، ورواه الترمذي وحسَّنه، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه -رضي الله عنه- مرفوعًا، بتقديم وتأخير، بزيادة ((وأنكح لله))، وعنده :((فقد استكمل إيمانه))، (سنن الترمذي، ٤/٥٧٨ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب٦٠، ح٢٥٢١) .

وَالمَقصُودُ أَنَّ مَا تَقَرُّ بِهِ العَينُ أَعلَى مِن مُجَرَّدِ مَا يُحِبُّهُ، فَالصَّلاةُ قُرَّةُ عُيُونِ المُحِبِّينَ فِي هَذِهِ(٢٦٨) الدُّنيَا؛ لِمَا فِيهَا مِن مُنَاجَاةِ مَن لا تَقَرُّ ...(٢٦٩) العُيُونُ، وَلا تَطمَئِنُ القُلُوبُ، وَلا تَسكُنُ [النُّفُوسُ](٢٧٠) إلا إلَيهِ(٢٧١)، وَالتَّنَعُّمِ بِذِكرِهِ، [وَالتَّذَلُّلِ](٢٧٢) وَالخُضُوعِ لَهُ؛ وَالقُربِ مِنهُ، وَلا سِيَّمَا فِي حَالِ(٢٧٣) السُّجُودِ، وَتِلكَ الحَالُ(٢٧٤) أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبدُ مِن رَبِّهِ فِيهَا(٢٧٥)، وَمِن هَذَا قَولُ النَّبِيِّ -ﷺ-: «يَا بِلَالُ، أَرِحنَا بِالصَّلاةِ»(أ)(٢٧٦)، فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ(٢٧٧) أَنَّ رَاحَتَهُ -ﷺ- فِي الصَّلاةِ(٢٧٨) كَمَا أَخبَرَ أَنَّ قُرَّةَ عَينِهِ فِيهَا. فَأَينَ هَذَا مِن قَولِ القَائِلِ: نُصَلِّي وَنَستَرِيحُ مِن الصَّلاةِ!

حال المحب في صلاته، وحال الغافل في صلاته

فَالمُحِبُّ رَاحَتُهُ وَقُرَّةُ عَينِهِ فِي الصَّلاةِ(٢٧٩)، وَالغَافِلُ(٢٨٠) المُعرِضُ(٢٨١) لَيسَ لَهُ نَصِيبٌ مِن ذَلِكَ، بَل الصَّلاةُ كَبِيرَةٌ(٢٨٢) شَاقَّةٌ عَلَيهِ(٢٨٣)، إذَا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى الجَمرِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنهَا(٢٨٤)، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ [إلَيهِ](٢٨٥) أَعجَلُهَا وَأَسرَعُهَا، (فَإنَّهُ

(أ) رواه أحمد، (المسند ٦/٥٠١، ح٢٢٥٧٨).
ورواه أبو داوود من طريقين، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، ٥/٢٦٢، ح٤٩٨٦، وح ٤٩٨٥، وصحح إسناده العراقي، (المغني عن حمل الأسفار ١/١٦٥)، والشيخ الألباني، (تحقيق مشكاة المصابيح ١/٣٩٣، ح١٢٥٣).

لَيسَ لَـهُ قُـرَّةُ عَـينٍ فِيهَـا، وَلا لِقَلبِـهِ رَاحَـةٌ بِهَـا[٢٨٦]، وَالعَبـدُ إذَا [قَرَّتْ][٢٨٧] عَينُهُ بِشَيءٍ وَاسـتَرَاحَ قَلبُـهُ بِـهِ[٢٨٨] فَأَشَـقُّ مَـا عَلَيهِ/ مُفَارَقَتُـهُ، وَالمُتَكَلِّـفُ الفَـارِغُ القَلـبِ مِـن اللَّـهِ وَالـدَّارِ الآخِرَةِ المُبتَلَى بِمَحَبَّةِ الدُّنيَا أَشَقُّ مَا عَلَيهِ الصَّلاةُ)[٢٨٩]، وَأَكرَهُ مَا إلَيهِ طُولُهَا، مَعَ تَفَرُّغِهِ وَصِحَّتِهِ وَعَدَمِ اشتِغَالِهِ ![٢٩٠][أ]

[٦/ب]

الصلاة التي تَقَرُّ بها العين ويستريح بها القلب

وَمِمَّا يَنبَغِـي أَنْ يُعلَـمَ أَنَّ الصَّـلاةَ الَّتِـي تَقَـرُّ بِهَـا العَـينُ وَيَستَرِيحُ بِهَا القَلبُ[٢٩١] هِيَ الَّتِي تَجمَعُ سِتَّةَ مَشَاهِدَ:

المَشهَدُ[٢٩٢] **الأَوَّلُ: الإخلاصُ**، وَهُـوَ أَنْ يَكُـونَ الـحَامِلُ[٢٩٣] عَلَيهَا وَالدَّاعِي إلَيهَا رَغبَةَ العَبدِ فِـي اللَّـهِ، وَمَحَبَّتَـهُ لَـهُ[٢٩٤]، وَطَلَبَ مَرضَاتِهِ، وَالقُربَ مِنهُ، وَالتَّوَدُّدَ إلَيهِ، وَامتِثَالَ أَمرِهِ[٢٩٥]، بِحَيثُ لا يَكُونُ البَاعِثُ لَهُ[٢٩٦] عَلَيهَا حَظًّا مِـن حُظُـوظِ الدُّنيَـا أَلْـبَتَّةَ، (بَل يَأتِي بِهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعلَى، مَحَبَّةً لَهُ وَخَوفًـا مِن عَذَابِـهِ وَرَجَاءً لِمَغفِرَتِهِ وَثَوَابِـهِ)[٢٩٧].

المَشهَدُ[٢٩٨] **الثَّـانِي: مَشـهَدُ**[٢٩٩] **الصِّـدقِ وَالنصـحِ**، وَهُـوَ أَنْ يُفَرِّغَ قَلبَهُ للَّهِ فِيهَا، وَيَستَفرِغَ جُهْدَهُ فِي إقبَالِـهِ فِيهَـا[٣٠٠] عَلَـى اللَّهِ، وَجَمعِ قَلبِـهِ عَلَيهَا[٣٠١]، وَإيقَاعِهَا عَلَـى أَحسَـنِ الوُجُـوهِ وَأَكمَلِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا[٣٠٢]، فَإنَّ الصَّلاةَ لَهَا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ[٣٠٣]،

(أ) ذكر ابن القيم نحو هذا الكلام المتقدم في (طريق الهجرتين، ص٥٥٤).

فَظَاهِرُهَا الأَفعَالُ المُشَاهَدَةُ وَالأَقوالُ المَسمُوعَةُ[٣٠٤]، وَبَاطِنُهَا الخُشُوعُ وَالمُرَاقَبَةُ (وَتفرِيغُ القَلبِ للَّهِ، وَالإقبَالُ بِكُلِّيَتِهِ عَلَى اللَّهِ فِيهَا، بِحَيثُ لا يَلتَفِتُ قَلبُهُ عَنهُ إلَى غَيرِهِ)[٣٠٥]، فَهَذَا[٣٠٦] - بِمَنزِلَةِ الرُّوحِ لَهَا، وَالأَفعَالُ بِمَنزِلَةِ البَدَنِ، فَإذَا خَلَتْ مِن الرُّوحِ كَانَتْ كَبَدَنٍ لارُوحَ فِيهِ، أَفَلا يَستَحِي العَبدُ أَنْ يُوَاجِهَ سَيِّدَهُ بِمِثلِ ذَلِكَ. وَلِهَذَا تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوبُ الخَلِقُ وَيُضرَبُ بِهَا وَجهُ صَاحِبِهَا، وَتَقُولُ: ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي.

وَالصَّلاةُ[٣٠٧] [الَّتِي][٣٠٨] كَمُلَ ظَاهِرُهَا وَبَاطِنُهَا تَصعَدُ وَلَهَا نُورٌ وَبُرهَانٌ[٣٠٩] كَنُورِ الشَّمسِ حَتَّى تُعرَضَ عَلَى اللَّهِ [فَيَرضَاهَا][٣١٠] وَيَقْبَلُهَا[٣١١]، وَتَقُولُ: حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظتَنِي[أ].

(أ) من حديث ذكره الهيثمي عن أنس -ﷺ- مرفوعاً، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عباد ابن كثير، وقد أجمعوا على ضعفه». مجمع الزوائد ٣٩/٢ ح١٦٧٧. وذكره الهيثمي أيضاً عن عبادة بن الصامت -ﷺ- مرفوعاً، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، والبزار بنحوه، فيه الأحوص ابن حكيم، وثقه ابن المديني والعجلي، وضعفه جماعة، وبقية رجاله مُوَثَّقون». مجمع الزوائد ٣٠٤/٢ ح٢٧٣٤، ونص حديث عبادة -ﷺ- قال رسول الله- ﷺ- : «إذا توضأ العبد فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، فأتَمَّ ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت: حفظك الله كما حفظتني، ثم أُصعد بها إلى السماء ولها ضَوْءٌ ونور، وفتحت لها أبواب السماء، وإذا لم يُحسن العبد الوضوء، ولم يُتمّ الركوع والسجود والقراءة، قالت: ضيَّعك الله كما ضيعتني، ثم أُصعد بها إلى السماء وعليها ظلمة وغُلِّقَتْ أبواب السماء، ثم تُلفُّ كما يُلف الثوب الخلق، ثم يُضرب بها وجه صاحبها».

فَصْـلٌ(٣١٢)

المَشْهَدُ [الثالِثُ](٣١٣): **مَشْهَدُ المُتَابَعَةِ وَالاقتِدَاءِ**(٣١٤)، وَهُوَ أَنْ يَحرِصَ كُلَّ الحَرَصِ عَلَى الاقتِدَاءِ فِي صَلاتِهِ / بِالنَّبِيِّ -ﷺ- وَيُصَلِّيَ كَمَا [كَانَ](٣١٥) يُصَلِّي(٣١٦)؛ وَيُعْرِضَ عَمَّا أَحدَثَ النَّاسُ فِي الصَّلاةِ، مِن الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، (وَالأَوْضَاعِ الَّتِي لَم يُنقَلْ عَن رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- شَيءٌ مِنهَا(٣١٧) وَلا عَن أَحَدٍ مِن أَصحَابِهِ)(٣١٨)؛ وَلا يَقِفُ عِندَ(٣١٩) أَقوَالِ المُرَخِّصِينَ الَّذِينَ يَقِفُونَ مَعَ أَقَلِّ مَا يَعتَقِدُونَ وُجُوبَهُ، وَيَكُونُ(٣٢٠) غَيرُهُم قَد نَازَعَهُم فِي ذَلِكَ(٣٢١) وَأَوجَبَ مَا أَسقَطُوهُ، وَلَعَلَّ الأَحَادِيثَ الثَّابِتَةَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ(٣٢٢) مِن جَانِبِهِ وَلا يَلتَفِتُونَ إِلَى ذَلِكَ(٣٢٣)، وَيَقُولُونَ: نَحنُ مُقَلِّدُونَ لِمَذهَبِ فَلانٍ(٣٢٤). وَهَذَا لا يُخَلِّصُ عِندَ اللَّهِ وَلا يَكُونُ عُذْرًا لِمَنْ تَخَلَّفَ عَمَّا عَلِمَهُ مِن السُّنَّةِ عِنْدَهُ(٣٢٥)، فَإِنَّ اللَّهَ- سُبْحَانَهُ- إِنَّمَا أَمَرَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَحدِهِ (وَلَم يَأمُرْ بِاتِّبَاعِ غَيرِهِ، وَإِنَّمَا يُطَاعُ غَيرُهُ إِذَا أَمَرَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ، وَكُلُّ أَحَدٍ سِوَى الرَّسُولِ -ﷺ- [فَمَأخُوذٌ](٣٢٦) مِن قَولِهِ [وَمَترُوكٌ](٣٢٧))(٣٢٨).

[٧/أ]

وَقَد أَقسَمَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ أَنَّا لانُؤمِنُ حَتَّى نُحَكِّمَ الرَّسُولَ فِيمَا شَجَرَ بَينَنَا، وَنَنْقَادَ لِحُكْمِهِ، وَنُسَلِّمَ

تَسلِيمًا﴾[أ]. فَلا يَنْفَعُنَا (تحكِيمُ غَيرِهِ وَالانْقِيَادُ لَه، وَلا يُنجِينا مِن عَذَابِ اللَّـهِ)[٣٢٩]، وَلا يَقبَلُ مِنَّا هَـذَا[٣٣٠] الجَوَابَ إذَا سَمِعنَا نِدَاءَهُ -سُبْحَانَهُ- يَومَ القِيَامَةِ: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ﴾[ب]، فَإنَّهُ لابُدَّ أَنْ يَسْأَلَنَا عَن ذَلِكَ، وَيُطَالِبَنَا بِالجَوَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ﴾[ت]، وَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ بِي تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»[ث]، يَعْنِي المَسْأَلَةَ[٣٣١] فِي القَبْرِ، فَمَن

(أ) قال تعالى: ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويُسلموا تسليمًا﴾ [سورة النساء: الآية ٦٥].

(ب) سورة القصص: الآية ٦٥.

(ت) سورة الأعراف: الآية ٦.

(ث) روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة -رضي الله عنها- حديثًا طويلاً مرفوعًا، وفيه «فأمَّا فتنة القبر فبي تفتنون وعنّي تسألون» الحديث، (المسند ٧/٢٠١، ح٢٤٥٦٦)، قال المنذري: «رواه أحمد بإسناد صحيح»، (الترغيب والترهيب ٤/٣٦٤-٣٦٥)، وحسَّنه الشيخ الألباني (صحيح اللجامع الصغير وزيادته ١/٢٨٩-٢٩٠، ح١٣٦١).

وروى البخاري معناه بسنده: ... فحمد الله النبي- ﷺ- وأثنى عليه ثم قال: «ما من شيء لم أكن أُريته إلا رأيته في مقامي، حتى الجنة والنار، فأُوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل- أو قريباً، لا أدري أي ذلك قالت أسماء- من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن- أو الموقن، لا أدري بأيهما قالت أسماء- فيقول: هو محمد، هو رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثاً. فيقال: نم صالحاً، قد علمنا إن كنت موقناً به. وأما المنافق- أو المرتاب»، لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول: «لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته». صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ٢٥- من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ١/٣٤، ح٨٦.

انتهَتْ إلَيهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ - وَتركَهَا لِقَولِ أَحَدٍ مِن النَّاسِ فَسَيَردُ يومَ القِيامَةِ ويَعلَم .

[فَصلٌ][٣٣٢]

المَشْهَدُ الرَّابِعُ: **مَشْهَدُ الإحسَانِ** وَهُوَ مَشهَدُ[٣٣٣] المُرَاقَبَة، وَهُوَ أَنْ يَعبُدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ. وَهَذَا المَشهَدُ إنَّمَا يَنشَأُ مِن كَمَالِ الإيمَانِ باللَّهِ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَى اللَّهَ- سُبْحَانَهُ- فَوقَ سَمَوَاتِهِ، / مُستَوِيًا[٣٣٤] عَلَى عَرْشِهِ، يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِهِ وَنَهيِهِ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَ الخَلِيقَةِ، (فَينزِلُ الأَمْرُ مِن عِنْدِهِ وَيَصْعَدُ إليهِ، وَتُعْرَضُ أَعْمَالُ العِبَادِ وَأَرْوَاحُهُم عِنْدَ المُوَافَاةِ عَلَيهِ. فَيَشهَدُ ذَلِكَ كلَّهُ بِقَلبِهِ، وَيَشهَدُ أَسمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَيَشهَدُ)[٣٣٥] قَيُّومًا، حَيًّا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، عَزِيزًا، حَكِيمًا، (آمِرًا ، نَاهِيًا، يُحِبُّ [وَيُبغِضُ، وَيَرضَى][٣٣٦] وَيَغضَبُ، [وَيَفعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحكُمُ مَا يُرِيدُ وَهُوَ فَوقَ عَرشِهِ][٣٣٧] لا يَخفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِن أَعمَالِ العِبَادِ وَلا أَقوَالِهِم وَلا بَوَاطِنِهِم، بَلْ)[٣٣٨] يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

[٧/ب]

وَمَشهَدُ الإحسَانِ أَصلُ أَعمَالِ القُلُوبِ كُلِّهَا، فَإنَّهُ يُوجِبُ [الحَيَاءَ، وَ][٣٣٩] الإجْلالَ، وَالتَّعْظِيمَ، وَالخَشْيَةَ، وَالمَحَبَّةَ، وَالإنَابَةَ، وَالتَّوكُّلَ، وَالخُضُوعَ للَّهِ- سُبْحَانَهُ-، وَالذُّلَّ لَهُ[٣٤٠]؛

وَيَقطَعُ [٣٤١] الوَسَاوِسَ وَحَدِيثَ ... [٣٤٢] النَّفْسِ، وَيَجمَعُ القَلبَ وَالهَمَّ [٣٤٣] عَلَى اللهِ.

فَحَظُّ العَبدِ مِن القُربِ مِن اللَّهِ عَلَى قَدرِ حَظِّهِ مِن مَقَامِ الإحسَانِ، وَبِحَسَبِهِ تَتفَاوَتُ الصَّلاةُ، حَتَّى يَكُونَ بَينَ صَلاةِ الرَّجُلَينِ مِن الفَضْلِ كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ، وَقِيَامُهُمَا وَرُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ.

فصل [٣٤٤]

المَشهَدُ [٣٤٥] **الخَامِسُ**: [**مَشهَدُ المِنةِ**، وَهُوَ] [٣٤٦] أَنْ يَشهَدَ أَنَّ المِنَّةَ للَّهِ- سُبْحَانَهُ-، كَونُهُ [٣٤٧] أَقَامَهُ فِي هَذَا المُقَامِ وَأَهَّلَهُ [لَهُ] [٣٤٨] وَوَفَّقَهُ لِقِيَامِ قَلبِهِ وَبَدَنِهِ فِي خِدمَتِهِ. فَلَولا اللَّهِ - سُبْحَانَهُ- لَمْ يَكُنْ [٣٤٩] شَيءٌ مِن ذَلِكَ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ [يَحْدُونَ] [أ] [٣٥٠] بَينَ يَدَي النَّبِيِّ -ﷺ- فَيَقُولُونَ :

(أ) أخرج البخاري ومسلم، عن سلمة بن الأكوع-رضي الله عنه-قال : خرجنا مع النبي-ﷺ-إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تسمعنا من هُنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعرًا، فنزل **يَحْدُو** بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

.....

فقال رسول الله-ﷺ-((من هذا السائق؟)) فقالوا : عامر بن الأكوع. قال: ((يرحمه الله))...الحديث،(تخريجه في الحاشية التالية).

و((الحَدْوُ:سَوْقُ الإبل والغناء لها)) ، (لسان العرب ١٤/١٦٨).

قال ابن حجر : ((وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال)) (فتح الباري ٥٣٢/٧).

وَاللَّهِ لَولا اللَّهِ مَا اهتَدَينا   وَلا تَصَدَّقنَا وَلا صَلَّينَـا[أ].

قَالَ اللَّهُ- تَعَالَى-: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[ب]، فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمُسلِمَ مُسلِمًا، وَالْمُصَلِّيَ مُصَلِّيًا، كَمَا قَالَ الخَلِيلُ- ﷺ-: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ﴾[ت]، وَقَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[ث].

فَالمِنَّةُ للَّهِ وَحْدَهُ (فِي أَنْ جَعَلَ عَبدَهُ قَائِمًا بِطَاعَتِهِ[٣٥١]. وَكَانَ هَذَا مِن أَعظَمِ نِعَمِهِ عَلَيهِ)[٣٥٢].

(أ) وردت عند البخاري روايتان، أولاهما تفيد أن قائله: عبد الله بن رواحة- ﷺ-، والأخرى أنه: عامر بن الأكوع- ﷺ -، (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٣٠- غزوة الخندق، ٥/٥٧ ح٤١٠٦، وباب ٣٩- غزوة خيبر ٥/٨٦، ح٤١٩٦). ورواه مسلم لعامر، (صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب ٤٥- غزوة ذي قَرَد وغيرها، ٣/ص١٤٢٧ ح١٢٣، ص١٤٣٣، ح١٣٢). قال ابن حجر: «فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا منه، بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، أو استعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة». فتح الباري ٧/٥٣١، والذي أورده ابن القيم نص ابن رواحة رضي الله عنه.

(ب) سورة الحجرات: الآية ١٧.

(ت) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

(ث) سورة إبراهيم: الآية ٤٠.

[٨/أ]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[أ]، وَقَالَ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[ب].

وَهَذَا المَشهَدُ[٣٥٣] مِن أَعظَمِ المَشَاهِدِ وَأَنْفَعِهَا لِلعَبدِ[٣٥٤] وَكُلَّمَا كَانَ العَبدُ أَعظَمَ تَوحِيدًا كَانَ حَظُّهُ مِن هَذَا المَشهَدِ أَتَمَّ.

وَفِيهِ مِن الفَوَائِدِ أَنَّهُ يَحُولُ بَينَ القَلبِ وَبَينَ العُجبِ بِالعَمَلِ (وَرُؤْيَتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا شَهِدَ ...[٣٥٥] أَنَّ اللَّهَ- سُبْحَانَهُ- هُوَ الْـمَانُّ بِهِ، المُوَفِّقُ لَهُ، الهَادِي إِلَيهِ، شَغَلَهُ شُهُودُ[٣٥٦] ذَلِكَ [عَن رُؤيَتِهِ][٣٥٧]، وَالإِعجَابِ بِهِ، وَأَنْ يَصُولَ[ت] بِهِ عَلَى النَّاسِ)[٣٥٨]، فَيُرفَعَ مِن قَلبِهِ فَلا يُعجَبُ بِهِ، وَمِن لِسَانِهِ فَلا يَمُنُّ بِهِ وَلا يَتَكَثَّرُ بِهِ، وَهَذَا شَأنُ العَمَلِ المَرفُوعِ.

(أ) سورة النحل: الآية ٥٣.

(ب) سورة الحجرات: الآية ٧.

(ت) يصول: أي يسطو ويستطيل، «والصؤول من الرجال: الذي يضرب الناس ويتطاول عليهم»، لسان العرب ١١/٣٨٧، وانظر القاموس المحيط، ص١٣٢٣.

وَمِـن فَوَائِـدِهِ أَنَّـهُ يُضِيـفُ الحَمـدَ [359] [إِلَـى][360] وَلِيِّـهِ وَمُسْتَحِقِّهِ، فَلا يَشْـهَدُ لِنَفْسِـهِ حَمْـدًا بَـلْ [يَشْـهَدُهُ][361] كُلَّـهُ لِلَّهِ[362]، كَمَا يَشهَدُ النِّعْمَةَ كَلَّهَا مِنهُ، وَالفَضلَ كَلَّهُ لَهُ، وَالخَـيرَ كَلَّهُ فِي [يَدَيهِ][363]، وَهَذَا مِن تَمَامِ التَّوحِيـدِ فَـلا يَسـتَقِرُّ[364] قَدَمُهُ فِي مَقَـامِ التَّوحِيـدِ إِلا بِـعِـلمِ ذَلِـكَ وَشُهُـودِهِ، فَـإِذَا عَـلِـمَـهُ وَرَسَخَ فِيـهِ صَـارَ لَـهُ مَشْـهَدًا، وَإِذَا صَـارَ لِقَلبِـهِ مَشْهَدًا أَثْـمَـرَ لَـهُ مِـن الـمَـحَـبَّـةِ وَالأُنـْس بِـاللَّهِ وَالشَّـوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالتَّنَعُّمِ بِذِكرِهِ
وَطَاعَتِهِ[365] مَالا نِسبَةَ بَينَهُ وَبَينَ أَعلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا أَلبَتَّةَ.

وَمَا لِلمَرْءِ خَيرٌ فِي حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ قَلبُهُ عَن هَذَا مَصدُودًا، وَطَرِيقُ الوُصُولِ إِلَيهِ عَنهُ مَسدُودًا [366]، بَلْ هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرْهُـمْ يَـأْكُلُـوا وَيَـتَـمَـتَّـعُوا وَيُلْهِـهِمُ الأَمَـلُ فَسَـوْفَ يَعْلَـمُونَ﴾[أ].

[فَصلٌ][367]

المَشهَدُ[368] **السَّادِسُ: مَشهَدُ التَّقصِيرِ،** وَأَنَّ[369] العَبـدَ لَـو اجتَهَدَ فِي القِيَامِ بِالأَمرِ غَايَةَ[370] الاجتِهَـادِ وَبَـذَلَ وُسـعَهُ[371]

(أ) سورة الحجر: الآية ٣.

فَهُوَ مُقصِّرٌ، وَحَقُّ اللَّهِ- سُبْحَانَهُ- عَلَيهِ أَعْظَمُ، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ[٣٧٢] أَنْ يُقَابَلَ بِهِ مِن الطَّاعَةِ وَالعُبُودِيَّةِ وَالخِدْمَةِ[٣٧٣] فَوقَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَأَنَّ عَظَمَتَهُ وَجَلالَهُ- سُبْحَانَهُ- يَقتَضِي مِن العُبُودِيَّةِ مَا يَلِيقُ بِهَا.

وَإِذَا كَانَ خَدَمُ المُلُوكِ وَعَبِيدُهُم[٣٧٤]/ يُعَامِلُونَهُم فِي خِدمَتِهِم بِالإِجْلالِ لَهُم[٣٧٥]، وَالتَّعْظِيمِ، وَالاحْتِرَامِ، وَالتَّوقِيرِ، وَالحَيَاءِ[٣٧٦]، وَالمَهَابَةِ، وَالخَشْيَةِ[٣٧٧]، وَالنُّصْحِ، بِحَيثُ يُفَرِّغُونَ قُلُوبَهُم وَجَوَارِحَهُم لَهُم[٣٧٨]، فَمَالِكُ المُلُوكِ وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ[٣٧٩] أَولَى أَن يُعَامَلَ[٣٨٠] بِذَلِكَ [بَلْ][٣٨١] بِأَضعَافِ ذَلِكَ. [٨/ب]

(وَإِذَا شَهِدَ العَبدُ مِن نَفسِهِ أَنَّهُ لَم [يُوَفِّ][٣٨٢] رَبَّهُ فِي عُبُودِيَّتِهِ حَقَّهُ، وَلا قَرِيبًا مِن حَقِّهِ، عَلِمَ تَقصِيرَهُ)[٣٨٣]؛ وَلَمْ يَسَعْهُ مَعَ ذَلِكَ[٣٨٤] غَيرُ الاستِغْفَارِ وَالاعْتِذَارِ مِن تَقصِيرِهِ وَتَفْرِيطِهِ وَعَدَمِ القِيَامِ بِمَا يَنْبَغِي لَهُ مِن حَقِّهِ[٣٨٥]؛ وَأَنَّهُ إِلَى أَنْ يَغفِرَ لَهُ العُبُودِيَّةَ وَيَعْفُوَ عَنهُ فِيهَا[٣٨٦] أَحوَجَ مِنهُ إِلَى أَنْ يَطْلُبَ مِنهُ عَلَيهَا[٣٨٧] ثَوَابًا؛ وَهُوَ[٣٨٨] لَو وَفَّاهَا حَقَّهَا كَمَا يَنْبَغِي لَكَانَت مُسْتَحَقَّةً عَلَيهِ بِمُقْتَضَى العُبُودِيَّةِ، (فَإِنَّ عَمَلَ العَبدِ وَخِدمَتَهُ لِسَيِّدِهِ مُستَحَقٌّ عَلَيهِ بِحُكمِ كَونِهِ عَبدَهُ وَمَملُوكَهُ، [فَلَو][٣٨٩] طَلَبَ مِنهُ الأُجرَةَ عَلَى عَمَلِهِ وَخِدمَتِهِ لَعَدَّهُ النَّاسُ

أَحمَقَ وَأَخــرَقَ)[٣٩٠]، هَــذَا وَلَيــسَ ...[٣٩١] هَــو[٣٩٢] عَبْـدُهُ وَلا مَملُوكَهُ[٣٩٣] عَلَى الحَقِيقَةِ، وَهُو[٣٩٤] عَبْدُ اللَّهِ، وَمَمْلُوكُــه عَلَــى الحَقِيقَةِ[٣٩٥] مِن كَلِ وَجهٍ للَّهِ سُبْحَانَهُ[٣٩٦].

فَعَمَلُهُ وَخِدمَتُهُ مُستَحَقُ عَلَيهِ بِحُكمِ كَونِـهِ عَبـدَهُ[٣٩٧]، فَـإذَا [أَثَابَهُ عَلَيهِ][٣٩٨] كَانَ ذَلِكَ مُجَرَّدَ فَضلٍ[٣٩٩] وَمِنَّةٍ[٤٠٠] وَإحْسَـانٍ إلَيهِ لا يَسْـتَحِقُّهُ العَبدُ عَلَيهِ[٤٠١].

وَمِن هَهُنَا[٤٠٢] [يُفهَمُ][٤٠٣] مَعنَى قَولِ النَّبِـيِّ -ﷺ-: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ مِنْكُم [الجَنَّـةَ][٤٠٤] بِـعَمَلِهِ». قَـالُوا: وَلا أَنْـتَ يَـا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَـا إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِـي اللَّـهُ بِرَحمَـةٍ مِنْـهُ وَفَضْلٍ»[أ].

وَقَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ- رضي الله عنه -: «يُخرَجُ لِلعَبدِ يَـومَ القِـيَامَةِ ثَلاثَةُ دَوَاوِينَ: دِيــوَانُ فِيـهِ حَسَـنَاتُهُ، وَدِيـوَانُ فِيـهِ سَـيِّئَاتِهِ، وَدِيوَانُ [٤٠٥] النِّعَمِ الَّتِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِ بِهَا. فَيَقُولُ الرَّبُ[٤٠٦] - تَعَالَى- لِنِعَمِهِ: خُذِي حَقَّكِ مِن حَسَنَاتِ عَبدِي. فَيَقُومُ أَصغَرُهَا فَتَسْتَنفِذُ حَسَنَاتِهِ، ثُمَّ تَقُولُ: وَعِزَّتِــكَ مَـا اسْـتَوفَيتُ[٤٠٧] حَقِّــي

(أ) متفق عليه، بألفاظ مقاربة لما ذكره المؤلف.
(صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ١٨- القصـد والمداومـة على العمـل ٧/٢٣٢-٢٣٣، ح٦٤٦٣).
(وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب ١٧- لن يدخـل أحـد الجنـة بعمله، ٤/٢١٦٩، ح٧١-٧٨).

بَعدُ. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرحَمَ عَبدَهُ وَهَبَهُ نِعمَهُ عَلَيهِ، وَغَفَرَ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، وَضَاعَفَ لَهُ (٤٠٨) حَسَنَاتِهِ» (أ). [وَهَذَا ثَابِتٌ](٤٠٩) /عَن أَنَسٍ (ب). وَهُوَ أَدَلُّ شَيءٍ عَلَى كَمَالِ عِلمِ الصَّحَابَةِ بِرَبِّهِمْ وَحُقُوقِهِ عَلَيهِم، كَمَا أَنَّهُم أَعلَمُ الأُمَّةِ بِنَبِيِّهِم [وَسُنَّتِهِ](٤١٠) وَدِينِهِ، فَإِنَّ فِي هَذَا الأَثَرِ(٤١١) مِن العِلمِ وَالمَعْرِفَةِ مَا لا يُدْرِكُهُ إلاَّ أُولُو البَصَائِرِ العَارِفُونَ بِاللَّهِ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَحَقِّهِ(٤١٢). وَمِن هُنَا(٤١٣) يُفهَمُ قَولُ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي الحَدِيثِ الَّذِي(٤١٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(ت) وَالإِمَامُ أَحمَدُ(ث)(٤١٥) مِن حَدِيثِ زَيدِ بنِ ثَابِتٍ وَحُذَيفَةَ وَغَيرِهِمَا(٤١٦): «إِنَّ اللَّهَ لَو عَذَّبَ

[٩/أ]

(أ) رواه البزار بنحوه عن أنس مرفوعاً إلى النبي-ﷺ-، (كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي ٤/١٦٠ ح٣٤٤٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٦٤٨: «فيه صالح المري وهو ضعيف»، وقال محقق المجمع: «وفيه أيضاً: داود بن المحبر، متهم بوضع الحديث» ١٠/٦٤٧.

(ب) لعله ثبت عند المؤلف بطريق آخر غير طريق البزار، والله أعلم.

(ت) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ٥/٧٥، ح٤٦٩٩ عن أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، جميعهم موقوفًا ، وعن زيد ابن ثابت مرفوعًا.

(ث) المسند، ٦/٢٣٣، ح٢١٠٧٩ مثل رواية أبي داود، ورواه الإمام أحمد بسند آخر عن زيد بن ثابت مرفوعًا ٦/٢٣٧، ح٢١١٠١.
ورواه ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر، ١/٢٩-٣٠، ح٧٧.
وأول الحديث عندهم جميعاً: «لو أن الله عذب...».
والحديث صححه الشيخ الألباني، (انظر تخريجه لأحاديث الطحاوية ص ٥٠٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : «إسناده قوي»، (صحيح ابن حبان: التخريج) ٢/٥٠٦ حاشية رقم١).

أَهْلَ سَموَاتِهِ وَ أَهلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ لَهُم، وَلَو رَحِمَهُم لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيراً لَهُم مِن أَعْمَالِهِم ».

فصل

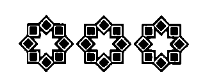
وَمَلاكُ هَذَا الشَّأْنِ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ:

نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَقُوَّةٌ عَالِيَةٌ،[٤١٧] يُقَارِنُهُمَا: رَغبَةٌ، وَرَهبَةٌ.

فَهَذِهِ[٤١٨] الأَرْبَعَةُ هِيَ[٤١٩] قَوَاعِدُ [هَذَا][٤٢٠] الشَّأْنِ. وَمَهْمَا دَخَلَ عَلَى[٤٢١] العَبْدِ مِن النَّقْصِ[٤٢٢] فِي إِيمَانِهِ وَأَحْوَالِهِ وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَهُوَ مِن نُقْصَانِ هَذِهِ الأَربَعَةِ أَو نُقْصَانِ بَعْضِهَا.

فَلْيَتَأَمَّلْ اللَّبِيبُ هَذِهِ الأَرْبَعَةَ[٤٢٣] الأَشْيَاءَ وَلِيَجْعَلَهَا سَيْرَهُ [وَسُلُوكَهُ][٤٢٤] وَيَبْنِي عَلَيْهَا عُلُومَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَحْوَالَهُ[٤٢٥]، فَمَا نَتَجَ مَن نَتَجَ إلا مِنهَا، وَلا تَخَلَّفَ مَن تَخَلَّفَ إلا مِن فَقْدِهَا.

[وَاللَّهُ أَعْلَمُ][٤٢٦]، وَاللَّهُ[٤٢٧] الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيهِ التُّكْلانُ (وَإِلَيهِ الرَّغْبَةُ وَهُوَ المَسؤُولُ بِأَنْ يُوَفِّقَنَا وَسَائِرَ إِخوَانِنَا مِن أَهْلِ السُّنَّةِ لِتَحْقِيقِهَا عِلْمًا [وَعَمَلاً][٤٢٨]، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ [وَالْمَانُّ][٤٢٩] بِهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ)[٤٣٠].[٤٣١]



حواشي الفروق بين النسخ :

(١) في الأصل (علاهن) ، وفي ب (علام الديـن) ، والمثبـت مـن ج، ود ، وانظـر الكلام عن هذه الألقاب في قسم الدراسة ، ص ٩٣ .

(٢) في ج (وأن ينفع) .

(٣) في ب (الماحرايات)، وفي د (الماجرايات) .

(٤) في ب (وكلافة) بدل (وكل آفة) .

(٥) في الأصل (القلب) وهو خطأ، والمثبت من ب ، وج .

(٦) في الأصل (حقه) وهو خطأ فادح ؛ فإن الحقوق عند ا لله لاتضيـع ،والمثبـت من ب ، وج .

(٧) في ب ، وج (أوصى) .

(٨) في ج (بعضهم) .

(٩) في ج (بما يضرهـم) .

(١٠) في الأصل (ومن هؤلاء) ،والمثبت من ب، وج .

(١١) في ج (طاعتهم) .

(١٢) في الأصل (بأنهم)،والمثبت من ب، وج .

(١٣) في ب (الميشاكلهم) وهو تصحيف .

(١٤) (ذكر) ساقطة من ج .

(١٥) في ج زيادة :(والدار الآخرة) .

(١٦) في الأصل (تولدتا) ، والمثبت كما في ب .

(١٧) في ج : (تولد منهما شر كثير) .

(١٨) (ولا يفارقه) ساقطة من ج .

(١٩) (أحوال) ساقطة من ج .

(٢٠) (تصور) ساقطة من ب .

(٢١) في ج (وبين معرفة الحق وتصوره) بدل (وبـين تصـور الحـق ومعرفتـه والعلـم به).

(٢٢) في الأصل (الصالحين) وهو خطأ ، والمثبت من ب، وج .

(٢٣) في الأصل (بضده) ، وفي ب (يضده) ، والمثبت من ج .

(٢٤) في ج (اتباع) بدل (قصد) .

(٢٥) (وإرادته واتباعه) سقطتا من ج .

(٢٦) في ج (والانقياد) .

(٢٧) لفظ الجلالة ساقط من ب، وج .

(٢٨) في ج (له) بدل (لما يتفعه) .

(٢٩) ساقطة من الأصل، وأثبتت من ب، وج .

(٣٠) في ج :(فهو من الضالين) بدل (سلك سبيل الضا لين) .

(٣١) (قصده و) ساقطة من ج.

(٣٢) في ج (فهو من) بدل (سلك سبيل) .

(٣٣) (وشدة الحاجة إليه) ساقطة من ج .

(٣٤) في ج (فتوقف) .

(٣٥) ساقطة من ج .

(٣٦) (إلى الحق) ساقطة من ج .

(٣٧) (ومعرفتها وإلى قصدها وإرادتها) ساقطة من ج .

(٣٨) في ج (و) بدل (أو) .

(٣٩) ساقطة من الأصل ،وأثبتت من ج .

(٤٠) ما بين القوسين ساقط من ب .

(٤١) في ب، وج (فهو) .

(٤٢) ما بين القوسين ساقط من ج .

(٤٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .

(٤٤) في ب (البلدة).

(٤٥) في الأصل (محتاج) والمثبت من ب، وج .

(٤٦) ساقطة من الأصل ومن ج ، وأثبتت من ب .

(٤٧) (دون كذا) ساقطة من ج .

(٤٨) (نفس) ساقطة من ب، وج .

(٤٩) (وينقطع عن المقصود) ساقطة من ج .

(٥٠) (إلى) ساقطة من ب .

(٥١) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .

(٥٢) في ب، وج (تحصل) .

(٥٣) (من) ساقطة من ب، وج .

(٥٤) في ب، وج (يحصل) .

(٥٥) في ب (عن اعتقاد حقا وباطلا) .

(٥٦) (بهداية من الله) ساقطة من ج .
(٥٧) ساقطة من الأصل وب ، وأثبتت من ج .
(٥٨) (ويرشده وينصحه) ساقطة من ج .
(٥٩) في ج (وآهماله) بدل (فإهماله) .
(٦٠) في ج (الغير) بدل (للغير) .
(٦١) (وتعليمه ونصحه) ساقطة من ج .
(٦٢) في ج (تفتح) بدل (يفتح) .
(٦٣) في ب، وج (وكلما) بدل (فكلما) .
(٦٤) (هداه الله وعلمه) ساقطة من ب ، (وعلمه هداه الله وعلمه) ساقطة من ج.
(٦٥) في ج (صار) بدل (فيصير) .
(٦٦) نهاية الحديث في ج :(ونعادي بعداوتك من عاداك وخالف أمرك) .
(٦٧) في الأصل (فقد) ، والمثبت من ب، وج .
(٦٨) (المؤمنين) ساقطة من ب، وج .
(٦٩) (في صفات عباده) ساقطة من ج .
(٧٠) في ج (أئمة يقتدى) بدل (يهتدى) .
(٧١) في الأصل (يهتدى)،والمثبت من ب، وج ، وكما أُثبت أورده السيوطي في الدر المنثور ١٤٩/٥ .
(٧٢) في الأصل (الفتوى)،والمثبت من ب ، وكما أُثبت أورده الواحدي النيسابوري في تفسيره .
(٧٣) في ب، وج (المقتدون) بدل (المتقون).
(٧٤) في ج (وقد أشكل) .
(٧٥) (التفسير) ساقطة من ج .
(٧٦) (يجب أن تكون)ساقطة من ج .
(٧٧) (القول) و (باب) سقطتا من ج .
(٧٨) في ج (أي) بدل (على تقدير) .
(٧٩) في ج زيادة (من القرآن) .
(٨٠) في ج (مقلوب عن)، وفي ب (مقلوب) بالرفع .
(٨١) في ب (فإنَّ الرجل لايكون).
(٨٢) (الوجه) ساقطة من ج .

(٨٣) في ب (ينالوا) ، وفي ج (نالوا) .

(٨٤) في ب (وَقَد اهتَدَوا هُم) بدل (وهو اقتداؤهم) .

(٨٥) في ب زيادة (الذين).

(٨٦) (فيجعلهم ا لله أئمة للمتقِين من بعدهم) ساقطة من ج .

(٨٧) في ب (قبل) .

(٨٨) ما بين القوسين ورد في ج هكذا :(قبل ان ياتم به من بعده فإنه يكون إماماً لهما) .

(٨٩) (و لم يقل واجعلنا للمتقين أئمة) ساقطة من ج .

(٩٠) (الإمام في الآية) ساقطة من ج.

(٩١) في الأصل (جميع) والمثبت من ب، وج .

(٩٢) (آم) ساقطة من ج .

(٩٣) في ج (قاله) بدل (وهذا قول) .

(٩٤) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .

(٩٥) (المعروفة حتى يفسر بها كلام ا لله) ساقطة من ج.

(٩٦) في ج (وقيل) بدل (وقال آخرون) .

(٩٧) (لا اسم) ساقطة من ج .

(٩٨) في ب (ذوي إماما). وسقطت من ج جملة (وقام قياما أي اجعلنا ذوي إمام).

(٩٩) في ج (وهو) .

(١٠٠) (إنما قال إماما و لم يقل أئمة على نحو) ساقطة من ج .

(١٠١) في ج (ذلك كقوله) .

(١٠٢) (و لم يقل رسولا) ساقطة من ج .

(١٠٣) في ج (كقوله) بدل (لقول الشاعر).

(١٠٤) في الأصل، وب (تزدن)، بالزاء المنقوطة، وكذلك عند السيوطي: (شرح شواهد المغنى ٥٦١/٢)، لكن أكثر من ذكر البيت أورده بالراء المهملة (تردن)، وذكره ابن جني بالراء في الخصائص مستشهدًا بشطره الأول،ولا يصلح الاستشهاد به لما ذَكَرَ إلا بالراء المهملة، ذكره في باب الاكتفاء بالسبب من المسبَّب وبالمسبَّب من السبب، فقال بعد إيراد البيت : « أراد: لا تلمنني، فاكتفى بإرادة اللوم منه، وهو تالٍ لها ومسبَّب عنها»، (١٧٣/٣-١٧٤)، ومثله ابن هشام في مغني اللبيب (١٣٧/١) .

(١٠٥) الشطر الأول من البيت ساقط من ج .

(١٠٦) في الأصل (القواذل) والمثبت من ب، وج .

(١٠٧) هكذا عند أكثر من ذكره، والقاعدة أن يقول: (لسن)، وورد البيت على القاعدة في تفسير الطبري ٣٢٠/١٩، وفي مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ٢٣٧/١، وقال شارح أبيات مغني اللبيب : ((النون في (لسن) ضمير العواذل، ورُوي في كتاب (التفسح في اللغة) [لأبي الحسين النحوي] وفي بعض نُسَخ (صحاح الجوهري) (ليس) بدون ضمير، والأول هو الجيِّد))، (شرح أبيات مغني اللبيب،عبد القادر بن عمر البغدادي ٢٨٤/٤).

(١٠٨) (أي ليس لي بأمراء) ساقطة من ج .

(١٠٩) في ب (امر) بدل (إلى) .

(١١٠) ساقطة من ب، وج .

(١١١) (كلهم) ساقطة من ج .

(١١٢) ما بين القوسين ورد في ب كالتالي :(ومعبود واحد ، وسبيل واحد ، ونبيهم نبي واحد.فدينهم واحد ، وكتابهم واحد ، ومعبودهم واحد) ، وورد في ج كالتالي :(ونبيهم واحد ، ومعبودهم واحد ، وكتابهم واحد).

(١١٣) (واحد) ساقطة من ب .

(١١٤) في ب (ليس).

(١١٥) مابين القوسين ورد في ج كالتالي :(الذين اختلفت مذاهبهم) .

(١١٦) في الأصل (وباليقين)، والمثبت من ب، وج .

(١١٧) (فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين) ساقطة من ج .

(١١٨) (بالصبر) ساقطة من ج .

(١١٩) في تفسير البغوي ٥٠٣/٣، وتفسير القرطبي ٧٣/١٤: ((هذا الصبر: صبر على الدين وعلى البلاء)).

(١٢٠) (بالصبر) ساقطة من ج .

(١٢١) في الأصل (الملاهي) ،والمثبت من ب، وج .

(١٢٢) في الأصل (عن) ، والمثبت من ب، وج .

(١٢٣) في ج (بينهما) بدل الاسمين الظاهرين .

(١٢٤) في ج (لأن بهما) بدل (إذ هما) .

(١٢٥) في ب (نعقد) بدل (يفقده) ، وفي ج (وبفقدهما يفقد) بدل (وفقدهما يفقده).

(١٢٦) (طوارق) ساقطة من ج .
(١٢٧) في ج (للأمر) بدل (لأمر الله) .
(١٢٨) (طوارق) ساقطة من ج .
(١٢٩) في ب (وبالصبر) بدل (وباليقين) ، وهو خطأ.
(١٣٠) في ج (تدفع) في الموضعين .
(١٣١) في ب (مضارتان) .
(١٣٢) (من عذاب الله) ساقطة من ج .
(١٣٣) (من)ساقطة من ب.
(١٣٤) في ج (و) بدل (فهذا) .
(١٣٥) في ب (الاستمتاعهم).
(١٣٦) في ب (خوض أهل الباطل) بدل (الخوض بالباطل) .
(١٣٧) ما بين القوسين ورد في ج كالتالي :(والخوض بالباطل في دين الله هو خوض الشبهات) .
(١٣٨) ما بين القوسين اُختصر في ج بكلمة واحدة :(بذلك) .
(١٣٩) ساقطة من ج .
(١٤٠) في ج (بما ذكر) بدل (بالصبر واليقين) .
(١٤١) (آخرين) ساقطة من ج .
(١٤٢) في ج (أحدهما : هداية خلق الله) .
(١٤٣) في ج (أنها بما أمر به) بدل (هدايتهم بما أمر به) ، و(به) ساقطة من ب .
(١٤٤) (وأذواقهم) ساقطة من ب .
(١٤٥) ما بين القوسين ورد في ج كالتالي :(الآراء والأذواق وتقليد الأسلاف) .
(١٤٦) زاد في إيراد الآية في الأصل ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ ولم ترد هذه الزيادة في ب ، وهو أنسب في الاستدلال . وجملة (لأنه قال :﴿يهدون بأمرنا﴾) ساقطة من ج .
(١٤٧) ما بين القوسين ساقط من ج .
(١٤٨) ساقطة من الأصل وأثبتت من ب، وج .
(١٤٩) في ج (لا تردد فيه) بدل (لا ريب فيه ولا تردد ولا شك) .
(١٥٠) في ب، وج (والإيمان باليوم الآخر)، سقط (الإيمان با لله).
(١٥١) ما بين القوسين ساقط من ج .
(١٥٢) في ج (أصول) بدل (الأصول الخمس) .

(١٥٣) في ج (يقوى) بدل (يقوم) .
(١٥٤) في ج (البصر) بدل (البصيرة) .
(١٥٥) في ج (كالشمس) بدل (مشاهدة له نسبتها إلى البصر كنسبة الشمس والقمر).
(١٥٦) في الأصل، وب (الإيمان هو اليقين كله)، وهو خطأ، والمثبت من ج ، ومثل ما في ج مروي في كتب الحديث المذكورة في حاشية تخريجه من هذا التحقيق .
(١٥٧) في ب (هدايته) .
(١٥٨) (ودعوتهم) ساقطة من ج .
(١٥٩) (ورسوله) ساقطة من ج .
(١٦٠) (البصري) ساقطة من ج .
(١٦١) (النوع) ساقطة من ج .
(١٦٢) في الأصل (الأنواع الإنسان) .
(١٦٣) (وأعلاهم درجة عند ا لله يوم القيامة) ساقطة من ج .
(١٦٤) في ب (وهو ثنيته سبحانه) بدل (وهم ثنية ا لله سبحانه) ، وفي ج (وهو المستثنى) بدلها .
(١٦٥) (نوع) ساقطة من ج .
(١٦٦) في ج (فيها) بدل (في سورة العصر) .
(١٦٧) (على بصيرة) ساقطة من ب، وج .
(١٦٨) في الأصل (الذي)، وفي ب (اللائي)، وكلاهما لايصح.
(١٦٩) ما بين القوسين ورد في ج كالتالي :(هو وأتباعه) .
(١٧٠) في ب (في الدنيا) بدل (في الدين) ، وهي ساقطة من ج .
(١٧١) (البصيرة) ساقطة من ج .
(١٧٢) في الأصل (الكيسُ) ، والمثبت من ب، وج .
(١٧٣) ما بين القوسين ساقط من ج .
(١٧٤) (لنا) ساقطة من ج .
(١٧٥) في ب، وج (ثم) بدل (ثمرة) .
(١٧٦) في ج (فإذا اعتبر تبصر) بدل (فإذا تبصر اعتبر) .
(١٧٧) في الأصل، وب (الذم) وهو تصحيف، كما في الحاشية التالية.

(١٧٨) في ب (الذمة) وهو تصحيف ، قال الجوهري: «قال الأصمعي: والبصيرة شيء من الدَّم يستدل به على الرَّمية» (الصحاح ٢/٥٩٢).
(١٧٩) ما بين القوسين ساقط من ج .
(١٨٠) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .
(١٨١) (وأن أتباعه هم أولو البصائر) ساقطة من ج .
(١٨٢) في ب (وأحسن) بدل (وحسن).
(١٨٣) (وإلى رسوله) ساقطة من ج .
(١٨٤) في ج (المعطوف) .
(١٨٥) جملة (أي هذه سبيلي) ساقطة من ج .
(١٨٦) من هنا يبدأ السقط في ب، وج .
وكتب في حاشية ب – بخط الناسخ-: «سقط في الأصل من هذا الموضع شيء، لا أدري ورقة أم أكثر ؟» ٧/أ ، وفي حاشية ج (هكذا في الأصول المنقول منها) ٥/أ.
(١٨٧) في الأصل (تبا) هكذا ، والمثبت من كتاب الرد على الجهمية والزنادقة.
(١٨٨) في الأصل (وينصرون) ، والمثبت من كتاب الرد على الجهمية والزنادقة.
(١٨٩) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من كتاب الرد على الجهمية والزنادقة.
(١٩٠) في الأصل (الاستكمالها) .
(١٩١) إلى هنا ينتهي السقط في نسخة ب .
(١٩٢) إلى هنا ينتهي السقط في ج .
(١٩٣) (المحبوب النافع) ساقطة من ج .
(١٩٤) (تصوره) وواو العطف بعدها ساقطة من ج .
(١٩٥) في الأصل (ويتخصل) ، والمثبت من ب .
(١٩٦) (إرادات) وواو العطف بعدها ساقطة من ج .
(١٩٧) (النافع) ساقطة من ج .
(١٩٨) في الأصل (بذلك) ، والمثبت من ب.
(١٩٩) في الأصل (وبين) ، والمثبت من ب .
(٢٠٠) ما بين القوسين ساقط من ج ، وفي موضعه (ولا يمكنه تقديم هذا) .
(٢٠١) في ب (بإحدى).
(٢٠٢) في ب، وج (مقلق) بدل (متعلق) ، وعقد ابن القيم في (مدارج السالكين٣/٢٧-٣٢) فصلاً في مراتب المحبة وعدَّها عشر مراتب فقال :

«أولها (العلاقة) وسميت علاقة لتعلق القلب بـالمحبوب » ، وانظـر (العبوديـة، لشيخ الإسلام ابن تيميـة ص٦)، وقـال الجوهـري في الصحـاح : «عَلِقَهَـا بالكسر وعَلِق حُبُّها بقلبه أي : هَوِيَها» ١٥٢٩/٤ .

ولِما ورد في ب، وج وجه، فقد تكلم ابن القيـم عـن منزلـة (القلـق) لـدى أهل التصوف، وذَكَـرَ أنـه قـوة في الشـوق لـدى صاحبه يتجـرد فيهـا عـن الصبر، فتجده يلتذ بالموت إذا ذُكر، (انظر مدارج السالكين ٥٩/٣-٦١) .

(٢٠٣) هنا تنتهي نسخة د .

(٢٠٤) مابين القوسين ساقط من ج .

(٢٠٥) في الأصل (لا يمكن) والمثبت من ب، وج .

(٢٠٦) ما بين القوسين ورد في ج بما يشبه التفسير له ، ونصه :(فإذا تمكن من قلبه أنه لا يمكنه الجمع بين هذه الشهوة وبين لذة الآخرة وعلم ما يترتب عليهما من الآخرة التي هي أشد من ألم الصبر عن هذه الشهوات ، فهـذان العلمـان ينتجان إيثار ما ينبغي له إيثاره) .

(٢٠٧) في ب، وج (خاصة) .

(٢٠٨) (على أدناهما) ساقطة من ج .

(٢٠٩) في الأصل (وغير)، والمثبت من ب، وج .

(٢١٠) في ج (وتميز العاقل من غيره) .

(٢١١) (ويظهر تفاوتهم في العقول) ساقطة من ج .

(٢١٢) في ب زيادة (من) .

(٢١٣) في ج (منقضية) بدل (منغصة) .

(٢١٤) (منكدة إنما هي) ساقطة من ج .

(٢١٥) في ب (تمتع) .

(٢١٦) في الأصل، وب (زاره)، ولعل الصواب ما أثبت .

(٢١٧) (أو كطيف يمتع به من زاره في المنام) ساقطة من ج .

(٢١٨) (وفرحة ومسرة هي من أعظم المسرات) ساقطة من ج .

(٢١٩) في ب (لذاتها) .

(٢٢٠) ما بين القوسين ساقط من ج .

(٢٢١) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .

(٢٢٢) في الأصـل (وأخـرى هـذه) ، والمثبـت مـن ب ، وج لكـن سـقط مـن ج (هذا).

(٢٢٣) في الأصل (جرى على يده العقد رسوله) ، والمثبت من ب .
(٢٢٤) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٢٢٥) (ويهملها ويبيعها بثمن بـخس في دار زائلة مضمحلة فانية) ساقطة من ج .
(٢٢٦) (وهل هذا إلا من أعظم الغبن) ساقطة من ج .
(٢٢٧) (وإنما يظهر له هذا الغبن) ساقطة من ب .
(٢٢٨) (الفاحش) ساقطة من ج .
(٢٢٩) (التامة والفرح والسرور) ساقطة من ج .
(٢٣٠) (وهمه مفرق) ساقطة من ج .
(٢٣١) (يستقر عنده) ساقطة من ج .
(٢٣٢) (يأوي إليه) وواو العطف بعدها ساقطة من ج .
(٢٣٣) في ج (قيل) بدل (أفصح القائل عن ذلك بقوله) .
(٢٣٤) في ب (منكم) بدل (من لم) .
(٢٣٥) مابين القوسين ساقط من ج .
(٢٣٦) ساقطة من الأصل ، وأُثبتت من ب، وج .
(٢٣٧) ساقطة من الأصل ، وأُثبتت من ب، وج .
(٢٣٨) (وربه) ساقطة من ج .
(٢٣٩) في ب زيادة (شعر) .
(٢٤٠) في الأصل زيادة (ما) .
(٢٤١) في ب (للخليل).
(٢٤٢) بياض في ب موضع (وحنينه) .
(٢٤٣) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٢٤٤) في ج (السعادة) بدل (سعادة العبد) .
(٢٤٥) في ب (الحالة)، وفي ج (وصاحبه) بدل (وصاحب هذه الحال) .
(٢٤٦) (قبل جنة الآخرة وفي نعيم عاجل) ساقطة من ج ، و(نعيم) ساقطة من ب.
(٢٤٧) في ج (بعضهم) .
(٢٤٨) في الأصل زيادة (عيش) .
(٢٤٩) في ج (وما هو) بدل (وما أطيب ما فيها) .
(٢٥٠) في ج (به) بدل (بقربه) .
(٢٥١) (أهل) ساقطة من ب، وج .
(٢٥٢) (النساء والطيب) ساقطة من ج .

(٢٥٣) (فأخبر أنه حبب إليه من الدنيا شيئان النساء والطيب ثم قال وجعلت قرة عيني في الصلاة) ساقطة من ب .
(٢٥٤) في الأصل (العيون) ، والمثبت من ب، وج .
(٢٥٥) (العين) ساقطة من ج .
(٢٥٦) في الأصل (على) ، والمثبت من ب، وج .
(٢٥٧) في ب، وج (إلا لله) .
(٢٥٨) في الأصل زيادة حرفين ليس لهما معنى، وهما : (مر) .
(٢٥٩) في ب، وج (والموحد إنما يحب من أحبه ا لله) .
(٢٦٠) في ب (ويبغض من أبغضه ا لله) ، وفي ج (ويبغض من يبغضه ا لله) .
(٢٦١) في ب، وج (ما يفعل) .
(٢٦٢) في ب (مايترك) .
(٢٦٣) في ج (الأربع) .
(٢٦٤) في ب (ويتركب) .
(٢٦٥) في الأصل (عليها) ، والمثبت من ب، وج .
(٢٦٦) في ج (استعمل) .
(٢٦٧) في ج (بنقص الإيمان) بدل (ينقص إيمان العبد) .
(٢٦٨) (هذه)ساقطة من ج .
(٢٦٩) في الأصل زيادة (به) .
(٢٧٠) في الأصل (النفس)،والمثبت من ب، وجملة (ولا تسكن النفوس) ساقطة من ج.
(٢٧١) في ج (به) بدل (إليه) .
(٢٧٢) في الأصل (والتلذذ)، والمثبت من ب، وجملة (والتنعم بذكره والتذلل) ساقطة من ج .
(٢٧٣) (حال) ساقطة من ج .
(٢٧٤) (وتلك الحال) ساقطة من ج .
(٢٧٥) في ج (فيه) .
(٢٧٦) في ب (يا بلال ، أرحنا في الصلاة)، وفي ج (يا بلال ، أرحنا أرحنا بالصلاة).
(٢٧٧) في ج (فأخبر) بدل (فأعلم بذلك) .
(٢٧٨) (فأعلم بذلك أن راحته -ﷺ- في الصلاة) ساقطة من ب .

(٢٧٩) (فالمحب راحته وقرة عينه في الصلاة) ساقطة من ج .
(٢٨٠) في ج (فالغافل) .
(٢٨١) (المعرض) ساقطة من ج .
(٢٨٢) في ب (كثيرة) .
(٢٨٣) في ج (عليه كبيرة شاقة) بدل (كبيرة شاقة عليه) .
(٢٨٤) (إذا قام فيها كأنه على الجمر حتى يتخلص منها) ساقطة م ج .
(٢٨٥) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .
(٢٨٦) في ب (فيها) .
(٢٨٧) في الأصل (قرب) ، والمثبت من ب .
(٢٨٨) في ب (وإلا فإن كل من قرت عينه بشيء واستراح به) بدل (والعبد إذا قرت عينه بشيء واستراح قلبه به) .
(٢٨٩) مابين القوسين ساقط من ج .
(٢٩٠) (وعدم اشتغاله) ساقطة من ج .
(٢٩١) (ويستريح بها القلب) ساقطة من ج .
(٢٩٢) ساقطة من ج .
(٢٩٣) في ب (الجامع) ، وفي ج (الباعث) .
(٢٩٤) في ج (الباعث عليها محبة العبد لله) بدل (الحامل عليها والداعي إليها رغبة العبد في الله ومحبته له) .
(٢٩٥) (والقرب منه والتودد إليه وامتثال أمره) ساقطة من ج .
(٢٩٦) (له) ساقطة من ج .
(٢٩٧) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٢٩٨) ساقطة من ج .
(٢٩٩) (مشهد) ساقطة من ج .
(٣٠٠) (فيها) ساقطة من ج ، وفي ب (فيها في إقباله) بدل (في إقباله فيها).
(٣٠١) (وجمع قلبه عليها) ساقطة من ج .
(٣٠٢) في ب (ظاهر وباطن) .
(٣٠٣) (فإن الصلاة لها ظاهر وباطن) ساقطة من ب .
(٣٠٤) في ج (الأقوال والأفعال) بدل (الأفعال المشاهدة والأقوال المسموعة) .
(٣٠٥) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣٠٦) في ج (وهو) بدل (فهذا) .

(٣٠٧) (الصلاة) ساقطة من ج .
(٣٠٨) في الأصل (الذي) ، والمثبت من ب، وج .
(٣٠٩) (وبرهان) ساقطة من ج .
(٣١٠) في الأصل (فيرضى بها) ، والمثبت من ب ، وج .
(٣١١) (ويقبلها) ساقطة من ج .
(٣١٢) ساقطة من ج .
(٣١٣) في الأصل (الثاني) وهو خطأ .
(٣١٤) (المشهد) ، (مشهد) ، (والاقتداء) ساقطة من ج .
(٣١٥) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب .
(٣١٦) (ويصلي كما كان يصلي) ساقطة من ج .
(٣١٧) في ب (منها شيء) .
(٣١٨) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣١٩) في ب، وج (مع) .
(٣٢٠) (يكون) ساقطة من ج .
(٣٢١) (نازعهم في ذلك و) ساقطة من ج .
(٣٢٢) (والسنة النبوية) ساقطة من ج .
(٣٢٣) (ولا يلتفتون إلى ذلك) ساقطة من ج .
(٣٢٤) في ج (لفلان) بدل (لمذهب فلان) .
(٣٢٥) (ولا يكون عذرا لمن تخلف عما علمه من السنة عنده) ساقطة من ج .
(٣٢٦) في الأصل (فامر) ، والمثبت من ب .
(٣٢٧) في الأصل (ومتزول) ، والمثبت من ب .
(٣٢٨) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣٢٩) في ج (الانقياد لغيره) بدل ما بين القوسين .
(٣٣٠) في ج (هنا) بدل (هذا) .
(٣٣١) (المسألة) ساقطة من ج .
(٣٣٢) ساقطة من الأصل وج ، وأثبتت من ب .
(٣٣٣) (المشهد) ، (مشهد) ، (هو مشهد) ساقطة من ج .
(٣٣٤) في ب، وج (مستو) .
(٣٣٥) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣٣٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، وأثبت من ب .

(٣٣٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، وأثبت من ب .
(٣٣٨) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣٣٩) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .
(٣٤٠) (والذل له) ساقطة من ج .
(٣٤١) في ب (وتقطع) .
(٣٤٢) في الأصل زيادة (القلب) وهو خطأ .
(٣٤٣) (والهم) ساقطة من ج .
(٣٤٤) ساقطة من ج .
(٣٤٥) ساقطة من ج .
(٣٤٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ، وأثبت من ب، وج .
(٣٤٧) في ج (حيث) بدل (كونه) .
(٣٤٨) ساقطة من الأصل، وأثبتت من ب، وجملة : (المقام وأهله له) ساقطة من ج.
(٣٤٩) في ب (ما كان) .
(٣٥٠) في الأصل، وب (يجدون)، والمثبت من ج مُشكَّلة، وانظر الحاشية عند هذه الكلمة في النص المحقق.
(٣٥١) في ب (في طاعته) .
(٣٥٢) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣٥٣) (المشهد) ساقطة من ج .
(٣٥٤) (للعبد) ساقطة من ج .
(٣٥٥) (شهد) مكررة في الأصل .
(٣٥٦) (شهود) ساقطة من ب، وج .
(٣٥٧) في الأصل (على رؤية)، والمثبت من ب .
(٣٥٨) ما بين القوسين ساقط من ج .
(٣٥٩) في ب، وج زيادة (كله) .
(٣٦٠) في الأصل (على) ، والمثبت من ب، وج .
(٣٦١) في الأصل (يشهد) .
(٣٦٢) (ومستحقه فلا يشهد لنفسه حمدا بل يشهده كله لله) ساقطة من ب، وج.
(٣٦٣) في الأصل (يده) ، والمثبت من ب، وج .
(٣٦٤) في ج (تستقر) .

(٣٦٥) (وطاعته) ساقطة من ج .
(٣٦٦) (وطريق الوصول إليه عنه مسدودا) ساقطة من ج .
(٣٦٧) ساقطة من الأصل وج ، وأثبتت من ب .
(٣٦٨) ساقطة من ج .
(٣٦٩) في ج (لأن) .
(٣٧٠) في ج (كل) بدل (غاية) .
(٣٧١) (وبذل وسعه) ساقطة من ج .
(٣٧٢) (له) ساقطة من ج .
(٣٧٣) (من الطاعة والعبودية والخدمة) ساقطة من ج .
(٣٧٤) (وعبيدهم) ساقطة من ج .
(٣٧٥) في ج (بالإخلاص) بدل (بالإجلال لهم) .
(٣٧٦) (والاحترام والتوقير والحياء) ساقطة من ج .
(٣٧٧) (والخشية) ساقطة من ج .
(٣٧٨) (بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم لهم) ساقطة من ج .
(٣٧٩) (ورب السموات والأرض) ساقطة من ج .
(٣٨٠) (أن يعامل) ساقطة من ج .
(٣٨١) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .
(٣٨٢) في الأصل (يعرف) ، والمثبت من ب .
(٣٨٣) ما بين القوسين وواو العطف بعده وردت في ج كالتالي:(فإذا علم العبد ذلك).
(٣٨٤) (مع ذلك) ساقطة من ج .
(٣٨٥) (وعدم القيام بما ينبغي له من حق) ساقطة من ج .
(٣٨٦) (ويعفو عنه فيها) ساقطة من ج .
(٣٨٧) في ج (أحوج من يطلب عليها) بدل (أحوج منه إلى أن يطلب منه عليها) .
(٣٨٨) (هو) ساقطة من ج .
(٣٨٩) في الأصل (فإذا)، والمثبت من ب .
(٣٩٠) ما بين القوسين في ج (فإن العبد لو يطلب من سيده الأجرة عده الناس أحمق).
(٣٩١) في الأصل زيادة (هذا) .
(٣٩٢) (هو) ساقطة من ج .

(٣٩٣) (ولا مملوكه) ساقطة من ج .
(٣٩٤) في ج (بل هو) بدل (وهو) .
(٣٩٥) (ومملوكه على الحقيقة) ساقطة من ج .
(٣٩٦) (لله سبحانه) ساقطة من ج .
(٣٩٧) (فعمله وخدمته مستحق عليه بحكم كونه عبده) ساقطة من ج .
(٣٩٨) في الأصل (أناب إليه) ، والمثبت من ب ، وفي ج (أثابه عليها) .
(٣٩٩) في ب (فضله) .
(٤٠٠) (ومنة) ساقطة من ج .
(٤٠١) (إليه لا يستحقه العبد عليه) ساقطة من ج .
(٤٠٢) في ج (ومن هنا) .
(٤٠٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب، وج .
(٤٠٤) ساقطة من الأصل ، ومثبتة في ب .
(٤٠٥) في ج زيادة (فيه) .
(٤٠٦) في ج (ا لله) .
(٤٠٧) في ب (ما استوفيته) .
(٤٠٨) (له) ساقطة من ج .
(٤٠٩) في الأصل (وهل أثابه) ، والمثبت من ب، وج .
(٤١٠) في الأصل (وشفعته) ،والمثبت من ب، وج .
(٤١١) في ب، وج (الأمر) بدل (الأثر) .
(٤١٢) (العارفون با لله وأسمائه وصفاته وحقه) ساقطة من ج .
(٤١٣) في ب (ههنا) .
(٤١٤) في ج (فيما) بدل (في الحديث الذي) .
(٤١٥) في ج (وغيره) بدل (والإمام أحمد) .
(٤١٦) في ج (وغيره) بدل (وحذيفة وغيرهما) .
(٤١٧) في ج (غالبة) .
(٤١٨) (فهذه) ساقطة من ب ، ومكانها بياض ، وفي ج (فهي) .
(٤١٩) في ب (في) بدل (هي) ، وجملة (الأربعة هي) ساقطة من ج .
(٤٢٠) ساقطة من الأصل ، وأثبتت من ب وج .
(٤٢١) في ب (وكل ما جاء) بدل (ومهما دخل على) .

(٤٢٢) في ج (ومتى دخل النقص على العبد) بدل (ومهما دخل على العبد من النقص).

(٤٢٣) (الأربعة) ساقطة من ب، وج .

(٤٢٤) في الأصل (وملوكه) ، والمثبت من ب، وج .

(٤٢٥) (وأقواله وأحواله) ساقطة من ج .

(٤٢٦) ما بين المعكوفين من ب، وج .

(٤٢٧) في ج (وهو) .

(٤٢٨) ما بين المعكوفين من ب .

(٤٢٩) في الأصل (تالمان) ، والمثبت من ب

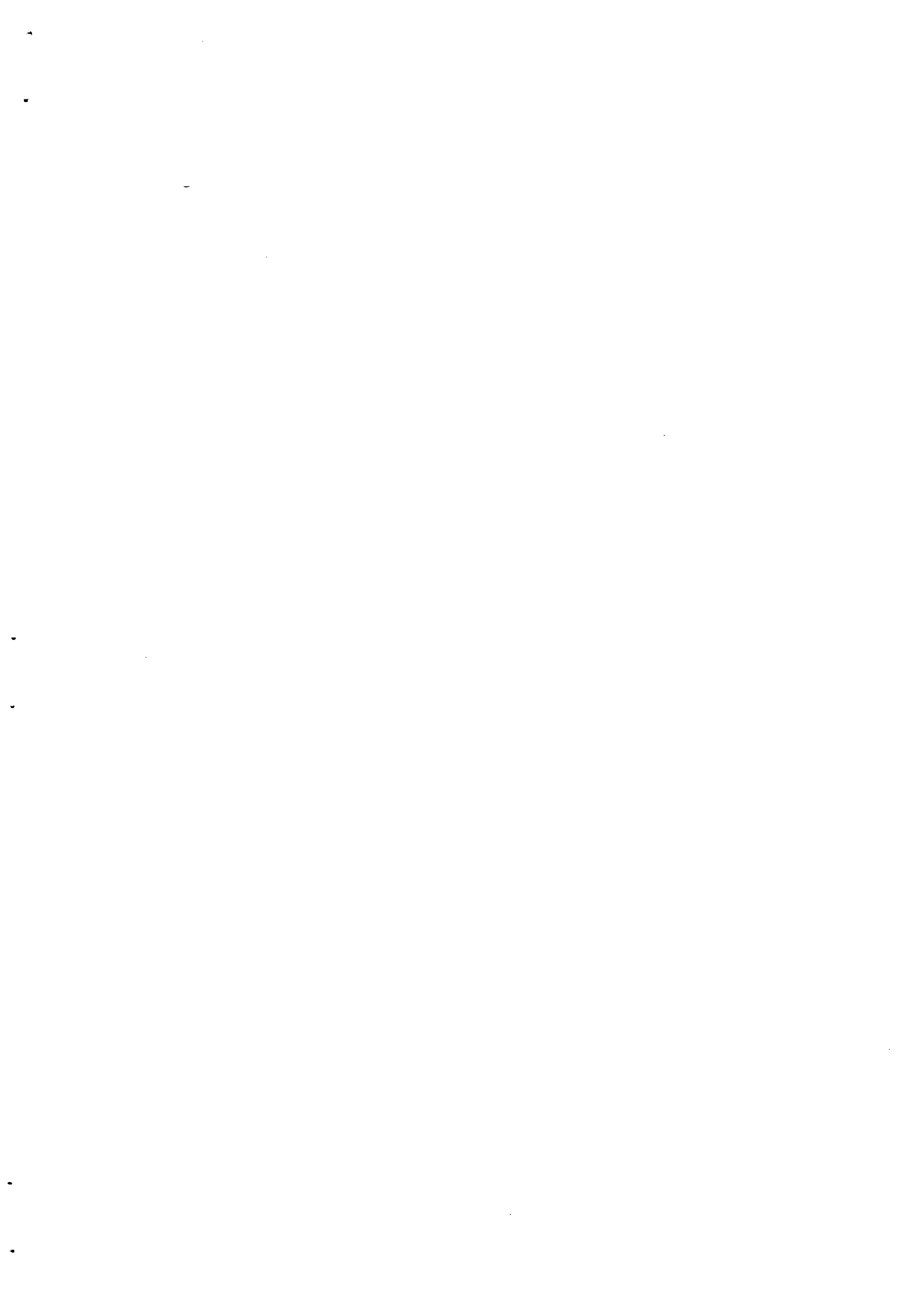
(٤٣٠) مابين القوسين ساقط من ج .

(٤٣١) خاتمة الرسالة في الأصل : «تمت الرسالة بمنِّ الله -تعالى- وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين آمين آمين» .

وخاتمتها في ب : «والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، تمت الرسالة والله أعلم . وكان الفراغ من كتب هذه الأوراق- الشريفة- يوم الأحد وقت الضحى، بقلعة المدينة نهار تسعة عشر من جماد الآخر بقلم المفتقر إلى الله: عبد الله بن موسى، غفر الله له ولوالديه والمسلمين». و لم أقف على اسمه في كثير من كتب التراجم.

وخاتمتها في ج : «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم » .

والحمد- أولاً وآخرًا - لله ربِّ العالمين على ما منَّ به ويسر ووفق لإخراج هذه الرسالة ، وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلم .



القسم الثاني

١-منهج التحقيق

٢- ترجمة ابن قيم الجوزية

٣- دراسة موجزة لرسالة ابن القيم ونُسَخِها

منهج التحقيق:

١- أعقبت التحقيق بمبحثين ، تناولا ترجمةً للمؤلف ، وتوثيق نسبة الرسالة إليه ، وأهميتها ، ووصف النسخة المطبوعة والنسخ المخطوطة ، وعنوان الرسالة، والشخص المرسلة إليه.

٢- قمت بالمقابلة بين النسخ ، وأثبتُّ الفروق بين نسخ ثلاث، وجعلت الفروق وما يلحق بها في حواش مستقلة بعد رسالة ابن القيم، وغير ذلك جعلته في حاشية أسفل النص.

٣- خرَّجت الآيات والأحاديث وأكثر الآثار، ونقلت كلام بعض العلماء على الأحاديث -في غير الصحيحين- تصحيحًا أوتضعيفًا.

٤- خرَّجت أكثر الأبيات الشعرية الواردة.

٥- عرَّفت بالأعلام إلا المشهورين فلم أعرف بهم، مثل كبار الصحابة، وكبار أئمة الفقه والحديث.

٦- أصلحت الأخطاء الإملائية من غير إشارة، واللغوية والنحوية بإشارة.

٧- ماورد في النسخة الأصل من أخطاء أثبتُّ إصلاحه في الصلب بين معكوفين [ ] ، وأشرت في حاشية الفروق إلى مصدر التصويب أو وجهه .

٨- الأخطاء الطفيفة- كسقوط نقط أو حرف- قمت بإصلاحها دون الإشارة إلى ذلك ، كما لم أشر إلى الفروق فيها ؛ تقليلاً من كثرة الحواشي، إلا إذا كان للسقط الطفيف وجه فأذكره وأشير إلى الفروق.

٩- صنعت عناوين جانبية للمسائل؛ تسهيلاً للرجوع إليها عند الحاجة.

١٠- فهرست للآيات، والأحاديث،والآثار، والأقوال، والأعلام، والأبيات الشعرية، والكتب الواردة في الرسالة.

١١- إذا كانت نهاية الصفحة في المخطوطة أثناء آية فإني أشير جوار السطر إلى نهايتها بدون علامة .

وأشكر الله تعالى، فهو أهل الحمد والشكر، ثم أشكر كل من أسهم في إخراج هذا التحقيق فجزاهم الله عنّي وعن الإسلام خير الجزاء .

وأستغفر الله -تعالى- على ما حصل في التحقيق من قصور ؛ فهذا ما اتّسع له الوقت، وبلغه العلم.

وإن الصدر ليتسع لورود أية ملحوظة من القارئ الكريم أو إضافة أوتعقيب ، والدعاء موصول له إن شاء الله .

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

عبدالله بن محمد المديفر

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد
وكالة الوزارة للشؤون الإسلامية
الرياض ١١٢٣٢

المبحث الأول
ترجمة ابن القيم[1]

اسمه وشهرته:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي ثم الدمشقي، واشتهر بابن قيم الجوزية.

مولده:

ولد في سابع صفر سنة ٦٩١هـ.

بعض صفاته:

يصف بعضًا من صفاته، تلميذُه وحبيبه ابن كثير بقوله:

« كان حسن القراءة والخلق، كثير التودد لا يحسد أحدًا، ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد »[2]. وكان حسن الخط[3].

---

(١) مصادر الترجمة:

١- المعجم المختص، للذهبي ص ٢٦٩.

٢- الوافي بالوفيات، للصفدي ٢/٢٧٠-٢٧٢.

٣- البداية والنهاية، لابن كثير ١٤/٢٣٤-٢٣٥.

٤- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، مجلد ٤، جزء ٢/٤٤٧-٤٥٢.

٥- الدرر الكامنة، لابن حجر ٤/٢١-٢٣.

٦- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح ٢/٣٨٤-٣٨٥.

٧- بغية الوعاة، للسيوطي ١/٦٢-٦٣.

٨- طبقات المفسرين، للداودي ٢/٩٠-٩٣.

٩- شذرات الذهب، لابن عماد ٦/١٦٨-١٧٠.

١٠- البدر الطالع، للشوكاني ٢/١٤٣-١٤٦.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٢٣٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ١٤/٢٣٥.

شيوخه:

تتلمذ ابن القيم على جماعة كثيرة من أهل العلم، من أبرزهم : والـده، وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، والشهاب العابر المشهور بتفسير الأحلام، وأبي نصر الشيرازي، وإسماعيل بن محمد الحراني، وسليمان بن حمزة الحاكم، وشـرف الديـن أخو ابن تيمية، وبدر الدين ابن جماعة، والصفي الهندي .

علومه:

يذكر تلميذُه ابن رجب علوم شيخه، فيقول: « تفقه في المذهب وبرع وأفتـى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفًا بالتفسـير لا يجارى فيـه، وبـأصول الديـن، وإليـه فيهمـا المنتهـى، والحديـث ومعانيـه وفقهـه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليـد الطولى، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالـمًا بعلم السلوك، وكلام أهـل التصوف وإشاراتهم، ودقائقهم. له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى »[(١)].

ويقول الشوكاني: « وتبحر في معرفة مذاهب السلف »[(٢)].

محبته للعلم وشغفه بجمع الكتب:

يقول ابن رجب: « كان شديد المحبـة للعلـم، وكتابتـه، ومطالعتـه، وتصنيفـه، واقتناء كتبه. واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره »[(٣)].

ويقول ابن كثير: « اقـتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره تحصيل عُشرِهِ من كتب

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة٤/٢/٤٤٨.

(٢) البدر الطالع ٢/١٤٣.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٤/٢/٤٤٩.

السلف والخلف » [1].

ثناء العلماء عليه:

«قال القاضي برهان الدين الزُّرعي: ما تحت أديم السماء أوسع علمًا منه» [2].

وقال ابن رجب: « ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني القرآن والحديث والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله » [3].

وقال عنه ابن حجر: « كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف » [4].

وقال عنه ابن عماد: « الفقيه الحنبلي، بل المجتهد المطلق » [5].

وقال الشوكاني: « وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جنة » [6].

أعماله:

اشتغل ابن القيم « كثيرًا، وناظر واجتهد، وواكب على الطلب، وصنّف» [7].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/٢٣٥.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤/٢/٤٤٩.

(٣) المصدر السابق ٤/٢/٤٤٨.

(٤) الدرر الكامنة ٤/٢١.

(٥) شذرات الذهب ٦/١٦٨.

(٦) البدر الطالع ٢/١٤٥.

(٧) الوافي بالوفيات ٢/٢٧١.

ودرَّس بالصَّدرية[1] وغيرها. وأَمَّ بالجوزية[2] مدة طويلة.

مدة اتصاله بابن تيمية:

بدأت ملازمة ابن القيم لابن تيمية عندما عاد ابن تيمية من مصر سنة ٧١٢هـ، واستمرت إلى أن توفي شيخه سنة ٧٢٨هـ.

عبادته:

قال ابن كثير: « لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدًا، ويمد ركوعها وسجودها »[3].

وقال ابن رجب: « كان- رحمه الله- ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته... وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر، فَفُتح عليه من ذلك خير كثير،... وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه»[4].

---

(١) المدرسة الصدرية: نسبة إلى واقفها: صدر الدين بن منجا، المتوفى سنة ٦٥٧هـ، وقد وقفها للحنابلة (انظر: الدراس في تاريخ المدارس، للنعيمي ٢/٨٧)

(٢) المدرسة الجوزية: نسبة إلى من أنشأها ، وهو محي الدين ابن الإمام المعروف جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، توفي سنة ٦٥٦هـ، وتقع المدرسة بسوق القمح بمدينة دمشق - المسمى حاليًا بحي البزورية-. (انظر: تاريخ المدارس ٢/٢٩، وابن قيم الجوزية، حياته وآثاره، للشيخ بكر أبو زيد ص ١٢، وتجد فيه بعض المراحل التي مرت بها هذه المدرسة إلى عصر قريب).

(٣) البداية والنهاية ١٤/٢٣٥.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٤/٢/٤٤٨.

ابتلاؤه:

لم تكن الحياة سائغة لابن القيم، بل واجه عددًا من المحن، فمن ذلك أن علماء عصره كانوا ينالون منه، وكان ينال منهم. « وحُبس مدة وأُوذي؛ لإنكاره شدَّ الرَّحل إلى قبر الخليل »[1]. واعتُقل مع ابن تيمية، وأُهين وطيف به على جمل مضروبًا بالدرة، واستمر معتقلاً حتى توفي شيخ الإسلام في السجن.

وفاته:

توفي- رحمه الله- في ليلة الخميس، وقت أذان العشاء، ثالث عشر رجب سنة ٧٥١هـ.

وصُلِّي عليه من الغد، عُقيب الظهر، بالجامع الأموي، ثم بجامع جراح، ودفن عند والدته بمقبرة الباب الصغير.

« وكانت جنازته حافلة- رحمه الله- شهدها القضاة، والأعيان، والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله »[2].

« ورئيت له منامات كثيرة حسنة »[3].

تراثه العلمي:

بذل فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد جهدًا عظيمًا في جمع أسماء مؤلفات ابن القيم، فبلغت ستة وتسعين، ما بين مطبوع، ومخطوط، ومفقود، وفيما

---

(١) المعجم المختص، للذهبي ص ٢٦٩.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٢٣٥.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٤/٢/٤٥٠.

يلي سرد لما لم يطبع منها، شحذاً لهمم طلاب العلم للبحث عنها، والتحقق منها، واستخراجها.

وقد جعلت الترقيم الذي رقمها به فضيلة الشيخ بكر في كتابه[1] بين قوسين ( ) ؛ ليسهل الرجوع إليه لمن أراد مزيد معلومات عن الكتاب.

١- (١) الاجتهاد والتقليد.

٢-(٥) أصول التفسير.

٣-(٦) الإعلام باتساع طرق الأحكام.

٤-(١٠) اقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر.

٥-(١١) الأمالي المكية . أشار الشيخ علي الحمد الصالحي -رحمه الله -إلى أنه كتاب مفتاح دار السعادة نفسه[2].

٦-(١٣) الإيجاز.

٧-(١٥) بطلان الكيمياء من أربعين وجهًا.

٨-(١٦) بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال.

٩-(١٨) التحبير لما يحل ويحرم من لباس الحرير.

١٠-(١٩) التحفة المكية. أشار الشيخ علي الصالحي إلى أنه كتاب مفتاح دار السعادة نفسه .

١١-(٢١) تحفة النازلين بجوار رب العالمين ، أشار الصالحي إلى أنه كتاب مفتاح دار السعادة نفسه .

١٢- (٢٢) تدبير الرئاسة في القواعد الحكمية بالذكاء والقريحة.

١٣-(٢٣) التعليق على الأحكام.

---

(١) ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره، ص ١١٩-١٩٧.

(٢) انظر :(الضوء المنير على التفسير ، ١/٦-٧) .

١٤-(٢٤) تفضيل مكة على المدينة.

١٥-(٢٦) الجامع بين السنن والآثار.

١٦-(٢٨) جوابات عابدي الصلبان .

١٧-(٢٩) الجواب الشافي لمن سأل عن ثمرة الدعاء ، وذكر فضيلة الشيخ محمد عفيفي أنه طُبع[١] ، ولم أقف عليه مطبوعًا.

١٨-(٣١) الحامل هل تحيض أم لا ؟

١٩-(٣٢) الحاوي .

-(٣٣)[٢].

٢٠-(٣٥) حكم إغمام هلال رمضان.

٢١-(٣٦) حكم تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطية.

٢٢-(٣٨) دواءُ القلوب.

٢٣- (٣٩) ربيع الأبرار في الصلاة على النبي المختار[٣].

٢٤-(٤٠) الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية.

٢٥-(٤١) الرسالة الشافية في أحكام المعوذتين.

٢٦-(٤٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، **وهي هذه الرسالة موضوع التحقيق.**

٢٧-(٤٤) رفع التنزيل.

٢٨-(٤٥) رفع اليدين في الصلاة ، يوجد نسخة منه في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، في ٨١ ورقة ، برقم ف١/٣٦ ، مصورة عن نسخة في المكتبة العامة السعودية.

---

(١) (انظر: إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، بتحقيقه ص ٢١).

(٢) رقم ٣٣- (حرمة السّماع)، طبع محققًا لنيل رسالة الدكتوراه مع عدد من رسائل في نفس الموضوع لغير ابن القيم ، بتحقيق راشد بن عبد العزيز الحمد، بعنوان (الكلام على مسألة السماع).

(٣) في مكتبة (برلين) في ألمانيا نسخة برقم ٣٩١٦ .

٢٩-(٤٨) الروح والنفس ، وهو غير كتاب الروح المطبوع [١].

٣٠-(٤٩) زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء.

٣١-(٥١) السنة والبدعة.

٣٢-(٥٢) شرح أسماء الكتاب العزيز.

٣٣-(٥٣) شرح الأسماء الحسنى.

٣٤-(٥٥) الصبر والسكن.

٣٥-(٥٦) الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم.

٣٦-(٥٧) الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة. **(طُبع غير كامل)**.

٣٧-(٥٨) الطاعون.

٣٨-(٥٩) طب القلوب ، وهو أوراق قليلة مصورته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عن نسخة في مكتبة (برلين)الغربية، وهو عبارة عن مقتطفات متفرقة من كتاب زاد المعاد، وليس تأليفًا مستقلاً .

٣٩-(٦٢) طريقة البصائر إلى حديقة السرائر في نظم الكبائر.

٤٠-(٦٣) طلاق الحائض.

٤١-(٦٥) عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح.

٤٢-(٦٦) الفتاوي.

٤٣-(٦٧) الفتح القدسي.

٤٤-(٦٨) الفتح المكي ، أشار الصالحي إلى أنه كتاب مفتاح دار السعادة نفسه.

٤٥-(٦٩) الفتوحات القدسية.

٤٦-(٧٠) الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه.

---

(١) ورد في فهرس المخطوطات بجامعة الكويت ، كلية الآداب (كتاب الروح : الروح الصغير والكبير) ، تحت رقم ب١٩١م.ك.مج١٢ ، وجاء في فهرس مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (كتاب الروح والنفس) برقم ٧٠٦٩ .

٤٧-(٧٢) الفروسية الشرعية، وهو غير الفروسية المطبوع، وفي حائل بالمملكة العربية السعودية نسخة كاملة باسم (الفروسية المحمدية)،نسخت سنة١٣١٨هـ[1].

وفي المكتبة التيمورية في القاهرة بنفس الاسم (الفروسية المحمدية) ، برقم فلم ٢٦٩٢ رقم ٢٢ - فروسية - تيمور .

٤٨-(٧٣) فضل العلم وأهله.

-(٧٤) [2].

٤٩-(٧٦) قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين.

٥٠-(٧٧) الكافية الشافية في النحو.

٥١-(٧٩) الكبائر.

٥٢-(٨٠) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء.

٥٣-(٨٢) اللمعة في الرد على ابن طلحة.

٥٤-(٨٤) المسائل الطرابلسية.

٥٥-(٨٥) معاني الأدوات والحروف ، مصورته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عن نسخة في مكتبة (لاله لي) بتركيا.

وفي صحة نسبة هذه المخطوطة لابن القيم نظر؟[3]

---

(١) مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، المخطوطات في منطقة حائل ، سليمان بن وائل التويجري ، ع ٣ ، ١٤٠٠هـ ، ص٤٥٢ .

(٢) رقم ٧٤- (فوائد الكلام على حديث الغمامة وحديث الغزالة) طبع بتحقيق مشهور حسن سلمان وإياد بن عبداللطيف القيسي ، عام ١٤١٦هـ .

(٣) من تعليقات فضيلة الشيخ بكر بن عبدا لله أبو زيد على مسودة هذا التحقيق .

-(٨٧) .[١]

٥٦-(٨٩) المورد الصافي والظل الوافي.

٥٧-(٩٠) مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

٥٨-(٩١) المهدي[٢] .

٥٩-(٩٢) المهذب في ...[٣] .

٦٠-(٩٣) نقد المنقول والمحك المميز بين المقبول والمردود.

٦١-(٩٤) نكاح المحرم.

٦٢-(٩٥) نور المؤمن وحياته.

---

(١)رقم ٨٧- (مقتضى السياسة في شرح نكت الحماسة) ، أخبرني فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله ابن عبد الرحيم عسيلان أن هذا الكتاب ليس لابن قيم الجوزية وإنما هو لشمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤ هـ ، وما ذكره هو الصواب -إن شاء الله-لما يأتي :

١- أن مثل هذا الشرح ليس من الاهتمامات المعروفة لابن القيم .

٢- أنه قد وقع خلط في عدد من المؤلفات لابن قيم الجوزية ، وابن الجوزي لتشابه الاسمين ، فَيُنسب كتاب لهذا وهو للآخر ، والعكس .

٣- ذكر الشيخ بكر أبو زيد أنه لم ينسبه لابن القيم سوى البغدادي في ذيله على كشف الظنون، فلعله أحد أوهام البغدادي رحمه الله.

٤- أثبت نسبته إلى سبط ابن الجوزي الدكتور عبدالله عسيلان ، بدليل قاطع من نص النسخة المخطوطة ، (حماسة أبي تمام وشروحها ، ص١٩٥-١٩٦) .

(٢) ذكر عبد اللطيف عاشور في كتابه (ثلاثة ينتظرهم العالم) ص٥٨ ، أن كتاب (المهدي) لابن القيم مطبوع ضمن (ينابيع المودة) و لم يذكر مؤلفه ، ولعله يريد (ينابيع المودة) لسليمان بن خواجة كلان الحسيني الحنفي القندوري البلخي المتوفى سنة ١٢٩٤هـ ، وهو من مؤلفات الشيعة، فقد أورد فيه المؤلف نقولاً مطولة فيما يتعلق بالمهدي -من مؤلفات عدد من العلماء ، منهم من أهل السنة-، وقد رجعت إلى طبعتين للكتاب فلم أقف عليه ، ولا يستبعد أن يكون قد حذف من بعض الطبعات ؛ لعداوة كثير من الفِرَق لابن القيم وشيخه ابن تيمية عليهما رحمة الله .

(٣) هكذ ذكره فضيلة الشيخ بكر أبو زيد نقلاً عن كشف الظنون، وذكره د.محمد أحمد الحاج باسم (المهذب في القراءات)، (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، قسم الدراسة ص٨٢) .

خاتمة بشأن التراث العلمي لابن القيم :

برغم ما بذل من جهود في رصد مؤلفات ابن القيم والتحقق منها ، إلا أنها ما زالت تحتاج إلى مزيد من ذلك .

فإنه يرد في بعض فهارس المكتبات المخطوطة نسبة مؤلفات لابن القيم لاتعرف أنها له ، فهل هي مؤلفات له لم تطبع ولم يشر إليه العلماء ؟ أم أنها أحد كتبه ولكن ذكرت بعنوان مختلف ؟ أم أنها مستلة من أحد كتبه ؟ أم أنها لمؤلفين آخرين ولكن نسبت وهمًا أو لبسًا إليه ؟ ومن أمثلة ذلك مايلي :

١- الإعلام في بيان أديان العالم وفرق الإسلام ، مكتبة (برلين)، مصورته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وقد ذكر فضيلة الشيخ علي بن عبدالعزيز آل شبل أنه كتاب الملل والنحل للشهرستاني وليس لابن القيم[١] .

٢- أقسام الحيل ومراتبها ، مكتبة جامعة الملك سعود في الرياض.

٣- أوراق بخط ابن قيم الجوزية ، دار ابن عابدين ؟ لعلها في سوريا أو لبنان!

٤- إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسير المهاجرين والأنصار ، مكتبة الشيخ عبد الله إبراهيم التويجري في عنيزة في المملكة العربية السعودية.

٥- تأويلات ودلالاتها ، مكتبة جامعة الملك سعود .

٦- الحكم بالقرائن والأمارات ، مكتبة الشيخ علي صالح السالم في حائل ، ولعله كتاب الطرق الحكمية.

٧- دلائل النبوة ، المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية.

---

(١) المناظرة، لجعفر الصادق، قسم التحقيق ص٤٢ الحاشية.

٨- الرسالة الشافية للأمراض الفاشية في القلوب القاسية ، مكتبة برلين ، ومصورتها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وليس أسلوبها من أساليب ابن القيم .

٩- رسالة في حق الشفعة ، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

١٠- روح الأرواح في تحقيق أحوال ما بعد الموت والآخرة والبرزخ ، المكتب الهندي في (لوث).

١١- روض النظير في علم التذكير ، معهد الاستشراق في (موسكو) بروسيا.

١٢- طراز الكم المذهب في الأذكار الواردة ، الخزانة العامة للكتب والمستندات في المغرب (الزاوية الحمزاوية) .

١٣- الفراسة ، مكتبة المدرسة القادسية في بغداد ، ومصورتها في جامعة أم القرى.

١٤- مجموعة فوائد ومسائل متفرقة ، مكتبة جامعة الملك سعود .

١٥- مسائل وفتاوي ، مكتبة علي عبد الله اليعقوب، في المعهد العلمي في حائل.

١٦- النبوّات ، المكتبة الصالحية بعنيزة .

١٧- الهدي السوي (في هدي يوم الجمعة)، مكتبة برلين .

المبحث الثاني

دراسة موجزة لرسالة ابن القيم

مدى صحة نسبة الرسالة لابن القيم:

نَسَب هذه الرسالة إلى ابن القيم فضيلة الشيخ بكر أبو زيد[1]، ولم يذكر أحدًا نسبها قبله، فلعله اعتمد على ما ورد في صفحتها الأولى من نسبتها إليه.

وإثبات صحة نسبتها إليه يحتاج إلى مقارنة منهج هذه الرسالة بمنهج ابن القيم في كتبه الثابتة له، ومقارنة بين نصوصها وبعض نصوصه في كتبه، وبين بعض عباراتها في كتبه، فإلى بيان ذلك:

أولاً- مقارنة المنهج في هذه الرسالة بمنهج ابن القيم في كتبه الثابتة له:

تكلم عدد من المعاصرين عن منهج ابن القيم وأسلوبه في الكتابة، فذكروا عددًا من المناهج والأساليب التي اتبعها في التأليف والبحث، وها هي بعضها، مع المقارنة بينها وبين ما ورد في هذه الرسالة:

١-من خصائص منهجه: الاعتماد على الأدلة من الكتاب والسنة[2]. وهذه الخصيصة تظهر جلية في هذه الرسالة عمليًا وقوليًا، أما العملي فيظهر في مواضع عديدة من الرسالة، وأما القولي، فقال حينما تكلم عن الأُصول التي تضمنتها آية ٢٤ من السجدة: « الثاني: هدايتهم بما أمر به على لسان رسوله -ﷺ-، لا

---

(١) ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره ص ١٥٥.

(٢) ابن قيم الجوزية، عصره ومنهجه، لعبد العظيم شرف الدين ص ١٩٦، والمصدر السابق لبكر أبو زيد ص ٤٨.

بمقتضى عقولهم، وآرائهم، وسياساتهم، وأذواقهم، وتقليد أسلافهم بغير برهان من الله؛ لأنه قال: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ » ص ١٨.

وقال عند الآية نفسها : « وفي ذلك دليلٌ على اتِّباعِهِم ما أنزَلَ اللَّهُ على رسوله ، وهدايتهم بِه وحده دون غيره مِن الأَقوَالِ وَالآرَاء والنِّحل والمذاهب ، بل لا يهدُونَ إلا بأمره خَاصَّة » ص ٢٤ .

وعقد فصلاً في المتابعة والاقتداء، ومما قال فيه: «... ولعل الأحاديث الثابتة والسنة النبوية من جانبه ولا يلتفتون إلى ذلك، ويقولون: نحن مقلدون لمذهب فلان، وهذا لا يخلص عند الله ولا يكون عذرًا لمن تخلف عما علمه من السنة عنده، فإن الله –سبحانه– إنما أمر بطاعة رسوله واتباعه وحده، ولم يأمر باتباع غيره... ». ص٣٦.

٢–ومن منهجه: عدم التعصب لمذهب معين[١]. وفي الكلام السابق من كلامه دليل واضح عليه.

٣–ومن منهجه: أنه يعرض النصوص أولاً ثم يستنبط منها، خلافًا لما درج عليه الفقهاء من قبل ومن بعد، فهم يعرضون المسألة ثم يؤيدونها بالدليل[٢]. وهذا المنهج ورد هنا ص١٥–٢٥ .

٤–ومن خصائص منهجه: الاستطراد[٣]. وهو سمة بارزة في هذه الرسالة.

٥–وتميز منهجه في أسلوبه: بالجاذبية وحسن التصوير[٤]. وهذا المنهج تجده في جميع صفحات الرسالة.

---

(١) المصدران السابقان: شرف الدين ص ١٧٩، وبكر أبو زيد ص ٥٩.

(٢) شرف الدين ص ١٨١.

(٣) ابن القيم من آثاره العلمية، لأحمد ماهر البُقري ص ١٥٩، وبكر أبو زيد ص ٦١.

(٤) المصدران السابقان: البُقري ص ٢١٦، وبكر أبو زيد ص ٦٧.

٦-وتميز منهجه: بحسن الترتيب والسياق[١]. وقد ظهر هذا جليًا في هذه الرسالة.

٧-ومن خصائص منهجه : السعة والشمول، بحيث يستوعب الكلام في المسألة من جميع الجوانب[٢]. ويلحظ في هذه الرسالة أكثر ما يلحظ عند كلامه حول آية ٧٤ من سورة الفرقان ص١١-١٥، وكذلك عند الكلام على (آية ٢٤ من سورة السجدة) ص ١٥-٢٥.

٨-ومن خصائص أسلوبه: استشهاده بالشعر له أو لغيره[٣]. وجاء هنا مرارًا استشهاده بالشعر لغيره.

هذه أهم المناهج التي ظهرت في الرسالة.

ثانيًا: مقارنة بعض نصوص هذه الرسالة بنصوص في كتب ابن القيم:

والنصوص المتشابهة كثيرة، يُكتفى بثلاثة منها:

١-ورد في هذه الرسالة (في الأصل): «... وهو لا يمكنه تركها[أي الشهوات] وتقديم هذا المطلوب عليها إلا بأحد أمرين: إما حب متعلق، وإما فرق مزعج...» ص٢٧.

وفي نسخة (ب، وج) :« ... إما حب مقلق... » .

وقال ابن القيم في روضة المحبين: « وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، ولا يذهب قساوته إلا حب مقلق، أو خوف مزعج »[٤].

---

(١) بكر أبو زيد ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦.

(٣) ابن القيم، لأحمد البُقري ص ٢١١.

(٤) ص ١٦٧.

وقال في الداء والدواء[1]: «الطريق الثاني المانع من حصول تعلق القلب[بعمل قوم لوط] : اشتغال القلب بما يبعده عن ذلك، ويحول بينه وبين الوقوع فيه، وهو: إما خوف مقلق، أو حب مزعج » .

٢-ورد في الرسالة: « وقد اشترى سبحانه من المؤمنين أنفسهم، وجعل ثمنها جنته، وأجرى هذا العقد على يد رسوله وخليله وخيرته من خلقه... كيف يليق بالعاقل أن يضيعها ويهملها ويبيعها بثمن بخس... وهل هذا إلا من أعظم الغبن الفاحش يوم التغابن؟...» ص٢٨-٢٩.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين: « فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع، عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس...» [2].

٣-ورد في الرسالة: « ومدار الدين على هذه القواعد الأربعة، وهي: الحب والبغض، ويترتب عليهما الفعل والترك والعطاء والمنع، فمن استكمل أن يكون هذا كله لله استكمل الإيمان، وما نقص منها أن يكون لله، عاد ينقص إيمان العبد» ص٣٢.

وقال ابن القيم في كتاب الروح : « والدين كله يدور على أربع قواعد : حب وبغض ، ويترتب عليهما فعل وترك ، فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الإيمان ،... وما نقص من أصنافه هذه الأربعة نقص من إيمانه ودينه بحسبه» [3].

هذه نماذج رأى المحقق أنها تكفي للدلالة على المقصود عن ذكر غيرها .

---

(١) ص ٣١٠.
(٢) ٣/٩.
(٣) ص ٥٦٢.

ثالثًا: مقارنة بعض عبارات الرسالة بعبارات ابن القيم في كتبه:

وردت في أول سطر من الرسالة بعد البسملة عبارة (الله المسؤول المرجو الإجابة)، فهل استعمل ابن القيم هذه العبارة في شيء من كتبه؟

لقد وردت هذه العبارة كاملة في ثلاثة من كتبه(١). وورد الجزء الأول منها في مواضع عديدة من كتبه.

ونحو هذا الكلام يقال على عباراته في خاتمة الرسالة.

وكلمة (المَشْهد والمَشَاهِد) الواردتان في هذه الرسالة من الكلمات الدارجة عند ابن القيم في بعض كتبه(٢).

النتيجة:

يتبين من خلال الأدلة المتنوعة السابقة أن نسبة الرسالة إلى ابن قيم الجوزية صحيحة لا مرية فيها ، ولا سيما أن فيها نقولاً عن ابن تيمية ، ولا يُعرف أحد كابن القيم بالإكثار من النقل عنه.

وصف محتوى الرسالة:

هذه الرسالة لطيفة في معناها ، سهلة في أسلوبها ، مترابطة مقاصدها ، قليلة ورقاتها ، غزيرة علومها ، يَحُثُّ ابنُ القيم فيها (علاءَ الدين ؟) على تعليم الخير، والنصح لكل من اجتمع به ، ويبين الآثار المترتبة على ترك الدعوة والتعليم، فيذكر منها : محق البركة ، وفساد القلب، وغفلته .

---

(١) وردت في مقدمة كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية، والوابل الصيب، وفي خاتمة كتاب الروح.

(٢) انظر – على سبيل المثال –: (مدارج السالكين١/٣٩٩–٤٣٠ ، طريق الهجرتين ص٨١–٨٨، ٢٩٧–٣٠٦) .

ثم يبين آثار الغفلة إذا اجتمعت مع اتّباع الهوى .

وينتقل للحديث باختصار عن الـمُنعَم عليهم بعد أن تحدث عن ضدهم من الذين غفلت قلوبهم ، ويبن حاجة العبد إلى الهداية من تسعة أوجه .ثم يتحدث عن أشرف أنواع المهتدين، وهم الذين يسألون ربهم أن يجعلهم أئمة يُهتدى بهم ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1]، والسُبل الأربعة التي تُنال بها هذه الإمامة .

ويأخذك المؤلف إلى نُقلة ، ليشرح مسألة، هي: أن كل إنسان إنما يسعى فيما يحصل له به اللذة والنعيم ، ويندفع به عنه أضداد ذلك ، ويُعدد ستة أمور لا تتم اللذة إلا بها ، ويبين حال كثير من الناس معها . ويؤكد أن اللذة التامة وطيب العيش إنما يكون في معرفة ا لله وتوحيده والأنس به والشوق إلى لقائه ، واجتماع القلب والهم عليه، ويدلل على ذلك بكون الصلاة جعلت قُرَّة عين النبي - ﷺ - ثم يُمتعك المؤلف ويُتحفك بذكر **مشاهد الصلاة الستة** التي إذا اجتمعت لدى العبد في صلاته حصلت له قرُّة العين واستراحة القلب.

ويختم رسالته بأن ملاك هذا الشأن أربعة أمور : نية صحيحة، وقوة عالية، ورغبة، ورهبة .

---

(١) سورة الفرقان ، من الآية ٧٤ .

أهمية هذه الرسالة:

على الرغم من صغر حجم هذه الرسالة إلا أنها حوت دررًا من كلام ابن القيم لم ينثرها لنا في شيء من كتبه المطبوعة[1]، كما حوت تفصيلاً لكلام أجمله في بعض كتبه، وبيان ذلك مايأتي:

١- لم يتعرض في شيء من الكتب المطبوعة لذكر المشاهد الست للصلاة التي تقر بها العين، ويستريح بها القلب.

٢- لم يتعرض في شيء من كتبه المطبوعة لمثل الكلام الذي ذكره هنا حول قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ الآية، [سورة الكهف: الأية٢٨].

٣- عند قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الآيات، ذكر كلامًا قَيِّمًا حول هذه الآيات ، وتفصيلاً بديعًا لم يذكره عندما تكلم عنها في بعض كتبه إلا إجمالاً.

٤- قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، [سورة الفرقان: الآية ٧٤]، أشار إلى تفسيرها في إعلام الموقعين[2] في ستة أسطر، وتكلم عنها بكلام مجمل في كتاب الروح[3]، أما في هذه الرسالة فقد تكلم عنها كلامًا وافيًا، نقل أقوال السلف فيها، وأقوال أئمة اللغة، ورجح بينها، وبيَّنها.

---

(١) اعتمادًا على كشافين من كشافات علوم ابن القيم ، هما :
١- التقريب لعلوم ابن القيم، لبكر بن عبد الله أبو زيد .
٢- بدائع التفسير، الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، ليسري السيد محمد.
واستقراءً لما طبع -حسب علمي- مما لم يتناوله هذان الكشافان .

(٢) ٤/١٣٥.

(٣) ص٥٦٠-٥٦١ .

٥- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾الآية، [سورة السجدة: الآية ٢٤]، لم يفصل الكلام حولها في شيء من كتبه.

٦- حول قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ الآية، [سورة يوسف: الآية ١٠٨]، نقل في هذه الرسالة بعض معاني (البصيرة) في اللغة، وحققها، ولا تجد في شيء من كتبه المطبوعة الموازنة بين هذه الأقوال .

وصف النسخة المطبوعة والنسخ المخطوطة:

أولا : النسخة المطبوعة :

وقفت على الطبعة الثانية لهذه الرسالة مؤرخة في ١٤١٣هـ [(١)]، والطبعة الأولى قبل هذا التاريخ ، ومع هذا فلم أقف على من أشار إلى أنها مطبوعة من العلماء الذين تحدثوا عن مؤلفات ابن القيم وطبعوا كتبهم بعد عام ١٤١٣هـ، وهذا يرجع -والله أعلم- إلى أن من أشرف على إخراجها وعلّق عليها وهو خالد ابن علي العنبري سماها باسم غير معروف وهو (**صلاة المحبين والطريق إلى إمامة المتقين**) ، مما يجعل الناظر إليها يظن أن مضمونها مُستلٌّ من كتبه الأخرى ، مثل عدد غير قليل طبع بطريق الاستلال .

وكانت طباعتها عن نسخة واحدة هي المحفوظة بدار الكتب المصرية .

والمعلّق قد أجاد في تخريج أحاديثها، وذِكْر من صحَّح صحيحها، أو ضعَّف ضعيفها .

ومع أن هذه الرسالة قد طبعت إلا أن إعادة طباعتها محققة تبقى مُلحَّة للأسباب الآتية:

---

(١) نشرتها دار سعد النجيم ، ومؤسسة البشائر في الرياض ، وطبعتها مطبعة سفير في الرياض .

١-أن ما طبع لم يحقق تحقيقًا علميًا ، يطمئن القارئ معه إلى صحة نسبة الرسالة إلى مؤلفها ، ويكون النص فيها أقرب إلى الصواب، ويعذر المعلّق في ذلك حيث لم يُسم عمله تحقيقًا بل سماه تعليقًا .

٢-أن ما طبع، فيه تصرف بنص المؤلف ، تارة بإسقاط بعض الكلمات والجمل دون إشارة ، وتارة بزيادة بعض الكلمات إلى النص دون إشارة، وتارة بإبدال بعض العبارات دون إشارة وبدون مُسوِّغ يوجب التغيير .

٣-بعض الكلمات وردت خطأ في النسخة ، أوردها المعلق كما هي دون البحث عن الصواب فيها .

٤- ورد في النسخة المطبوعة خطأ في تخريج آية ، مما يجعل الآية لا تصلح للاستدلال بها على ما أراده المؤلف .

٥- أن طباعتها باسمها المعروف لدى العلماء أدعى لانتشارها، ونشر العلم الذي حوته .

ثانيًا : وصف النسخ المخطوطة :

وقفت على أربع نسخ خطِّية، وسيكون الرمز لها كالتالي : (الأصل) ، و(ب)، و(ج) ، و(د) ، وكان الاعتماد في التحقيق والمقابلة على النسخ الثلاثة الأولى ، أما نسخة (د) فلم ترد الإشارة إليها إلا نادرًا للتَّعضيد ؛ لما يأتي من الأسباب عند الحديث عن هذه النسخة .

١- النسخة (الأصل) :

محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة برقم (١٣) مجاميع ، بعنوان:(رسالة لابن قيم الجوزية) ، ورقم الفلم هو (٥٣٠٧٣) ، ضمن مجموعة أولها كتاب

(الداء والدواء) لابن القيم ، آخر هذا الكتاب مؤرخ في سنة ١١٨٧من الهجرة ، ويليه -بعد ستة أسطر دخيلة فيها توسل بالنبي -ﷺ- هذه النسخة في عشر ورقات ، من (١٤٠/أ) إلى (١٤٩/أ) ، ثم يليها رسالة سميت برد القبورية ، منتخبة من إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، وينتهي المجموع بورقة (١٩٢) .

مسطرتها ٢٠×١٥سم ، وكل صفحة تحوي ٢٣ سطرًا ، مكتوبة بخط جيد واضح ، وتاريخ كتابتها غير مدون عليها ، لكن الخط الذي كتبت به مشابه للخط الذي كتب به الكتاب الذي قبلها وهو مدون في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري كما سبق آنفًا ، وناسخها مجهول .

وعرَّفت النسخةُ الرسالةَ بقولها :«هذا كتاب أرسله الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، مفتي المسلمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - ،كتبه إلى بعض إخوانه في الله تعالى» .

وقد جعلت هذه النسخة هي المعتمدة في التحقيق ، للآتي :

أ- أنها أقدم النسخ الأربعة .

ب- أنها سلمت من السقط الذي اعترى النسخ الأخرى جميعها .

ج- أن الأخطاء التي فيها أقل بقليل من النسخ الأخرى .

٢- النسخة (ب) :

موجودة بالمكتبة المحمودية في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، برقم ٢٧٩٧ مجاميع[١] تحت عنوان : (رسالة أرسلها ابن القيم إلى بعض إخوانه) .

---

(١) في كتاب ابن قيم الجوزية، لبكر أبو زيد، رقمها (٨/٢٢١ مجاميع) ص ١٥٥، والرقم الذي ذكره رقمها لـمَّا كانت المكتبة المحمودية ضمن مكتبة الحرم النبوي، فلما انتقلت المحمودية وأصبحت ضمن مكتبة الملك عبد العزيز تغير رقمها إلى ما أثبته.

تقع المخطوطة في خمس عشرة ورقة ، وهي بخط جيد واضح، وخطها وأوراقها يشيران إلى أنها من مخطوطات القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا، ناسخها عبدالله بن موسى[1] ، ومقاس الكتابة : ١٣×٨،٥ سم ، وعدد الأسطر فيها أربعة عشر سطرًا.

وقد وقع بها سقط من وسطها، بمقدار اثنين وثلاثين سطرًا مطبوعًا ، ويذكر ناسخ هذه النسخة أن السقط موجود في النسخة التي نقل عنها.

والمخطوطة تقع ثانية في المجموع التي هي فيه، ويحوي المجموع رسالتين، الرسالة الأخرى لم يذكر عليها اسم مؤلفها.

وعرَّفت النسخةُ الرسالةَ بقولها : «هذا كتاب أرسله الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم - رحمه الله تعالى- كتبه إلى بعض إخوانه فقال» .

٣- النسخة (ج) :

محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود في الرياض ، برقم (١٦٥٦) ، بعنوان: (رسالة في الإرشاد) ، تقع في تسع ورقات ، بخط جيد واضح ، ورؤوس الفقرات بخط أكبر ذي لون أحمر ، وبعض الفقرات فوقها خط أحمر ، مقاسها ١٩×١٢سم ، وعدد الأسطر فيها واحد وعشرون سطرًا ، من مخطوطات القرن الرابع عشر الهجري ، وبها سقط من وسطها كالنسخة السابقة ، وناسخها مجهول، ومن الملاحظات المتكررة فيها، أن بعض الكلام يتكون من سطر أو أسطر في النسختين الأوليين يُختصر في هذه النسخة بكلمة أو كلمتين!

---

(١) لم أجد له ترجمة .

وعرَّفت النسخةُ الرسالةَ بقولها : «هذه رسالة أرسلها شمس الدين، أبو عبدا لله ابن القيم – رضي ا لله عنه– إلى بعض إخوانه » .

٤– النسخة (د) :

من محفوظات المكتبة العامة السعودية بالرياض [١] ، ومصورتها في مكتبة جامعة الملك سعود محفوظة برقم ف٥٩/٤–ز (س) ، بعنوان:(رسالة في البركة) ، وهي نسخة غير كاملة سقط منها ما يقارب النصف من حجمها ، تقع في أربع ورقات ، وعدد الأسطر فيها ما بين٢٣–٢٦ سطرًا ، وخطها من خطوط القرن الرابع عشر الهجري ، ناسخها مجهول ، ويظهر أن ناسخها قد اعتمد على النسخة (ج) ويتصرف أحيانًا بالاختصار والحذف .

وعرَّفت النسخةُ الرسالةَ بقولها : «قال الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، شمس الدين، بحرِ العلوم، أبو عبد ا لله ابن القيم – رحمه ا لله تعالى– » .

عنوان الرسالة:

لم يسم ابن القيم رسالته هذه كما عُهد عنه في كتبه أنه يسميها باعتناء شديد.

وقد سُميت في فهارس المكتبات المحفوظة فيها النسخ بالأسماء التالية :

١– رسالة لابن قيم الجوزية .

٢– رسالة أرسلها ابن القيم إلى بعض إخوانه .

٣– رسالة في الإرشاد .

٤– رسالة في البركة .

---

(١) وهي مكتبة دار الإفتاء والتي نقلت مخطوطاتها إلى مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، وقد بحثت عن هذه النسخة في مكتبة الملك فهد فلم أجدها !

فمن سماها بالإرشاد فقد نظر إلى غرضها ، ومن سماها بالبركة فقد نظر إلى موضوعها في بدايتها .

وعنون لها الشيخ بكر أبو زيد بـ (رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه)، وبهذا العنوان اشتُهرت عند عدد من أهل العلم المعاصرين ، ولذا فقد رأى المحقق إثباتها بهذا العنوان ، وحتى لا يحصل لبس بذكر عنوان لم تُعرف به لدى العلماء ، كما أن النسخ الثلاث المعتمدة قد عرَّفت هذه الرسالة بنحو هذا العنوان.

المُرْسَلُ إليه :

ورد في بداية النسخة الأصل أن المرسل إليه هو (علاهن) ، وفي (ب) (علام الدين)، وفي (ج) و(د) (علاء الدين) وبتتبع كثير من فهارس الكتب التي ترجمت لعصر ابن القيم لم أقف على أحد لُقِّبَ بعلاهن ، ولا بعلام الدين ، ولكن ذَكَرَتْ عددًا من الأشخاص لقبوا بعلاء الدين كما في (ج) و(د) ، وعلم الدين ، ولم تُشر الكتب التي اطلع عليها المحقق إلى وجود مراسلة بين أحد منهم وابن القيم، أو الإشارة إلى أنه تلميذ لابن القيم ، أو ذِكْرِ قرينة يُطمأن إليها، مما يجعل شخصية من أرسلت إليه الرسالة مجهولة.

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي وكم عسر
اعاد الله يسرا وفرج لوعة القلب الشجي وكم هم تساء به
صباحا فتأتيك المسرة بالعشي اذا ضاقت بك الاسباب
يوما فثق بالواحد الصمد توسل بالنبي فكل عبد يغاث
اذا توسل بالنبي ولا تيأس لامر من امور فكم لله من لطف
خفي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

هذا كتاب ارسله الشيخ الامام العالم العلامة شيخ
الاسلام مفتي المسلمين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف
بابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى وكتبه الى بعض اخوانه
في الله تعالى

بعد المسؤول المرجو الاجابة ان يحسن الى الاخ علا الدين
في الدنيا والاخرة وينفع به ويجعله مباركا اين ما كان
فان بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل ونصحه لكل من
اجتمع به قال الله تعالى اخبارا عن المسيح وجعلني مباركا
اينما كنت اي معلما للخير داعيا الى الله مذكرا به مرغبا
في طاعته فهذا من بركة الرجل ومن خلا من هذا فقد
خلا من البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به بل تمحق
بركة من لقيه واجتمع به فانه يضيع الوقت في الماجريات
ويفسد القلب وكل افة تدخل على العبد فسببها ضياع
القلب وفساد القلب يعود بضياع حظه من الله ونقصان
درجته ومنزلته عنده ولهذا وصى بعض الشيوخ فقال
احذروا مخالطة من تضيع مخالطته الوقت وتفسد القلب
فانه

صورة الصفحة الأولى من النسخة (الأصل) المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة

عن أنس وهو دال على كمال علم الصحابة بربهم وحنوه عليهم
كأنهم أعلم الأمة بنبيهم وشفقته ورفقه بهم ولا في هذا الأثر من
العلم والمعرفة ما لا يدركه إلا أولو البصائر العارفون بالله
وأسمائه وصفاته وحكمته ومن هذا قول النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود والإمام أحمد من
حديث زيد بن ثابت وحذيفة وغيرهما إن الله لو عذب أهل
سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت
رحمته خيرا لهم من أعمالهم .... وملاك هذا
الشأن أربعة أمور نية صحيحة وقوة عالية يقارنهما رغبة ور
هبة فهذه الأربعة هي قواعد الشأن ومهما دخل على العبد
من النقص في إيمانه وأحواله وظاهره وباطنه فهو من نقصان
هذه الأربعة ونقصان بعضها فليتأمل اللبيب هذه الأربعة
الأشياء وليجعلها سيره وسلوكه ويبني عليها علومه وأعماله وأقواله
وأحواله فما أنتج من أنتج إلا منها ولا تخلف من تخلف إلا من فقدها
والله المستعان وعليه التكلان وإليه الرغبة وهو المسئول بأن
يوفقنا وسائر إخواننا من أهل السنة لتحقيقها علما إنه ولي ذلك
والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل تمت
الرسالة من الله تعالى وحمده لا شريك له في الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.
آمين آمين.
آمين.

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (**الأصل**) المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة

وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اللهم صلى على محمد

هذا كتاب ارسله الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد بن ابي بكر

المعروف بابن القيم رحمه الله تعالى كتبه الى بعض اخوانه فقال

الله المسؤول المرجو الاجابة ان يحسن الى الاخ علاء الدين في الدنيا والاخرة

وينفع به ويجعله مباركا اين ما كان فان بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل

ونصحه لكل من اجتمع به قال الله تعالى اخبارا عن المسيح وجعلني مباركا

اين ما كنت اي معلما للخير داعيا الى الله مذكرا به مرغبا في طاعته فهذا من

بركة الرجل ومن خلا من هذا فقد خلي من البركة ومحقت بركة لقايه

والاجتماع به بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به فانه يضيع الوقت في

الماجريات ويفسد القلب وكل افة تدخل على العبد فسببها ضياع

الوقت وفساد القلب وتعود بضياع حظه من الله ونقصان

رتبته من الله ومنزلته عنده ولهذا اوصى بعض الشيوخ فقال احذروا

مخالطة من تضيع مخالطته الوقت وتفسد القلب فانه متى اجتمع ضيا

ع الوقت وفساد القلب انفرطت على العبد اموره كلها وكان ممن قال

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ب) المحفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة

وملاك هذا الشأن اربعة امور نية صحيحة وقوة عالية يقارنهما
رغبة ورهبة الاربعة في قواعد هذا الشأن وكل ما جاء العبد من
النقص في ايمانه واحواله وظاهره وباطنه فهو من نقصان نقد
الاربعة او نقصان بعضها فليتأمل اللبيب هذه الاسباب وليجعلها
سيره وسلوكه ويبني عليها علومه واعماله واقواله واحواله
فما نتج من نتيجة الا منها ولا تخلف من تخلف الا من فقدها وا
لله اعلم وبالله المستعان وعليه التكلان واليه الرغبة وهو المسؤ
ل ان يوفقنا وسائر اخواننا من اهل السنة لتحقيقها علما
وعملا انه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم [illegible] والله اعلم

وكان الفراغ من كتب هذه الاوراق الشريفة
يوم الاحد وقت الضحى [illegible]
سنة عشر من جماد الاخر على يد الفقير الى الله
عبد الله بن موسى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) المحفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة

رسالة الإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم لابن القيم

هذه رسالة أرسلها شمس الدين أبو عبد الله بن القيم رضي الله عنه
إلى بعض إخوانه الله المسؤول المرجو الإجابة أن
يحسن إلى الأخ علاء الدين في الدنيا والآخرة وأن ينفع
به ويجعله مباركاً أينما كان فإن بركة الرجل تعليمه
للخير حيث حل ونصحه لكل من اجتمع به قال الله تعالى
إخباراً عن المسيح عليه السلام وجعلني مباركاً أينما
كنت أي معلماً للخير داعياً إلى الله مذكراً به مرغباً في طاعته
فهذا من بركة الرجل ومن خلا من هذا فقد خلا من
البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به بل تمحق بركة
من لقيه واجتمع به فإنه يضيع الوقت في الماجريات
ويفسد القلب وكل آفة تدخل على العبد فسببها ضياع
الوقت وفساد القلب وتعود بضياع حظه من الله
ونقصان درجته ومنزلته عنده ولهذا أوصى بعضهم
فقال احذروا مخالطة من تضيع مخالطته الوقت
وتفسد القلب فإنه متى ضاع الوقت وفسد القلب
انفرطت على العبد أموره كلها وكان ممن قال الله فيه
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه و
كان أمره فرطاً ومن تأمل حال هذا الخلق وجدهم
كلهم إلا أقل القليل ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى
واتبعوا أهواءهم وصارت أمورهم ومصالحهم فرطاً

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ج) المحفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض

وهبه نعمه عليه وغفر له سيئاته وضاعف حسناته وهذا
ثابت عن انس وهو دال على كمال علم الصحابة بربهم و
حقوقه عليهم كما انهم اعلم الامة بنبيهم وسنته ودينه
فان في هذا الامر من العلم والمعرفة ما لا يدركه الا اولوا
البصائر ومن هنا يعلم قوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت وغيره
ان الله لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو
غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم
ومدار هذا الشان اربعة امور نية صحيحة وقوة
غالبة يقارنهما رغبة ورهبة فهي قواعد هذا الشان
ومتى دخل النقص على العبد في ايمانه واحواله ظاهره
وباطنه فهو من نقصان هذه الاربعة او نقصان
بعضها فليتامل اللبيب هذه الاشيا وليجعلها سيره
وسلوكه ويبني عليها علمه واعماله فما نتج من
نتج الا منها ولا تخلف من تخلف الا من فقدها
والله تعالى اعلم وهو المستعان وعليه التكلان ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
على سيدنا ونبينا محمد
واله وصحبه
وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ج) المحفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين بحر العلوم أبو عبد الله ابن القيم رحمه الله تعالى [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

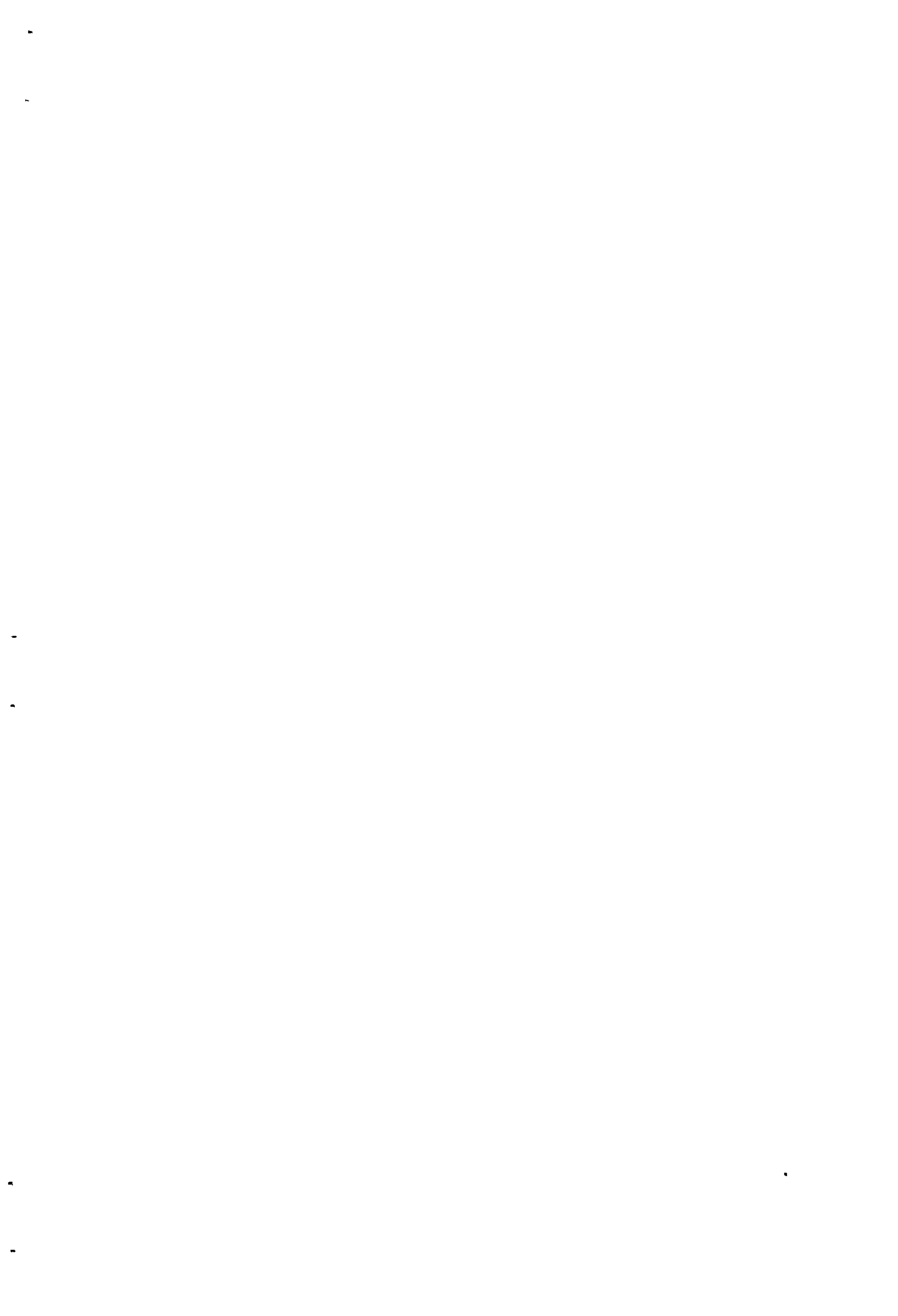
المسؤول من الله أن يحسن إلى الأخ علاء الدين في الدنيا
والآخرة وينفع به ويجعله مباركا أينما كان فإن بركة الرجل تعليمه
للخير حيث حل ونصحه لكل من اجتمع به قال الله تعالى إخبارا
عن المسيح وجعلني مباركا أينما كنت أي معلما للخير داعيا إلى
الله مذكرا به مرغبا في طاعته فهذا من بركة الرجل ومن خلا من هذا
فقد خلا من البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به بل تمحق
بركة من لقيه واجتمع به فإنه يضيع الوقت في الماجريات
ويفسد القلب وكل آفة تدخل على العبد فسببها ضياع الوقت
وفساد القلب وتعود بضياع حظه من الله ونقصان درجته
ولهذا أوصى بعضهم فقال احذروا مخالطة من تضيع مخالطته
الوقت وتفسد القلب فإنه متى ضاع الوقت وفسد القلب انفرطت
على العبد أموره كلها وكان ممن قال الله فيه ولا تطع من أغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ومن تأمل حال
هذا الخلق وجدهم كلهم إلا أقل القليل ممن غفلت قلوبهم عن
ذكر الله واتبعوا أهواءهم وصارت أمورهم ومصالحهم فرطا
أي فرطوا فيما ينفعهم واشتغلوا بما يضرهم عاجلا وآجلا
وهؤلاء قد أمر الله رسوله أن لا يطيعهم فطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تتم إلا بعدم طاعة هؤلاء فإنهم إنما يدعون إلى
ما يشاكلهم من اتباع الهوى والغفلة عن ذكر الله والدار الآخرة
والغفلة متى تزوجت باتباع الهوى تولد بينهما كل شر وكثيرا
ما يقترن أحدهما بالآخر ومن تأمل فساد أحوال العالم
عموما وخصوصا وجده ناشئا عن هذين الأصلين والغفلة
تحول بين العبد وبين معرفة الحق فيكون من الضالين
واتباع الهوى يصده عن اتباع الحق فيكون من المغضوب عليهم

صورة الصفحة الأولى من النسخة (د) المحفوظة بالمكتبة العامة السعودية بالرياض

من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال انا ومن
اتبعني فان كان المعنى ويكون
من اتبعني معطوف على الضمير المرفوع في ادعو وحسن
العطف لاجل الفصل فهو دليل على ان اتباعه
هم الذين الى الله عز وجل وان كان معطوفا على الضمير
المجرور في سبيلي

وتنكد حياته وكل عاقل يسعى في هذه الامور
ولكن اكثر الناس غلط في تحصيل هذا المطلوب
اما بعدم معرفته واما بعدم الطريق الموصلة اليه
فهذان غلطان سببهما الجهل ويتخلص منهما
بالعلم فقد يحصل العلم بالمطلوب وطريقه
لكن في قلبه شهوات تحول بينه وبين قصد هذا
المطلوب وسلوك طريقه ولا يمكنه تقديم هذا
عليها الا باحد امرين اما حب مقلق واما فرق
مزعج

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (د) المحفوظة بالمكتبة العامة السعودية بالرياض



الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث النبوية

بدايـــة الحديث	الصفحة
إنّ الله لو عذب أهل سمواته..........................	٦٥
الإيمان أن تؤمن با لله..........................	٢٦
أوحي إلي أنكم بي تفتنون..........................	٥٣
حبب إلي من دنياكم النساء..........................	٤٣
لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله..........................	٦٣
اللهم زينا بزينة الإيمان..........................	١٢-١٣
يابلال أرحنا في الصلاة..........................	٤٦

فهرس الآثار والأقوال

فهرس الأعلام

الكتب الواردة في الرسالة

فهرس الأبيات الشعرية

مصادر التحقيق والدراسة ومراجعهما

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة، غ م.
٢- إعراب القرآن، للنحاس،تحقيق زهير غازي، نشر وزارة الأوقاف بالعراق، مطبعة العاني،غ م.
٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت،غ.م.
٤- اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط٢، ١٤١١هـ.
٥- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، للعكبري، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٦- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.
٧- البداية والنهاية، لابن كثير، نشر مكتبة المعارف ببيروت، ط٤، ١٩٨٢م.
٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، نشر دار المعرفة ببيروت، غ م.
٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، طبعة عيسى البابي، ط١، ١٣٨٤هـ.
١٠- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مؤسسة الخانجي بالقاهرة،ط٣،غ م.
١١- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق إبراهيم الترزي، نشر وزارة الإعلام بالكويت، طبعة سنة ١٣٩٢هـ.
١٢- الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق مصطفى محمد عمارة، مكتبة المنار، الزرقاء- عمّان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ .
١٣- تفسير البغوي، نشر دار المعرفة ببيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
١٤- تفسير الطبري، حققه إلى الجزء ١٦ محمود شاكر، نشر دار المعارف بمصر، غ م.
١٥- تفسير القرطبي، نشر دار الكتب العلمية، طبعة بتاريخ ١٤١٣هـ.
١٦- تفسير ابن كثير، نشر دار المعرفة ببيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٧- تفسير النسفي، نشر دار الكتاب العربي ببيروت، غ م.
١٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، نشر دار صادر ببيروت، ط١، غ م.
١٩- ثلاثة ينتظرهم العالم، عبد اللطيف عاشور، مكتبة الساعي، الرياض، غ م .
٢٠- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تحقيق محي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ .
٢١- حماسة أبي تمام وشروحها، أ.د.عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، دار اللواء، الرياض، ١٤١٣هـ .
٢٢- الخصائص، عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، مطبعة دار الكتب المصرية،١٣٧٦هـ .

٢٣- الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف بديوي، نشر مكتبة دار التراث بالمدينة، ط٤، ١٤١٢هـ.
٢٤- الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر النعيمي، نشر المجمع العلمي بدمشق، طبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٧٠هـ.
٢٥- الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٢٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، نشر دار الكتب الحديثة بمصر، غ م.
٢٧- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، نشر دار المعرفة ببيروت، غ م.
٢٨- ذيل ابن عبد الهادي على طبقات ابن رجب، نشر دار العاصمة بالرياض، طبعة دار البشائر ببيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٢٩- الذيل على العبر في خبر من غبر، لابن العراقي، تحقيق صالح مهدي، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣٠- ذيل وفيات الأعيان، لابن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي، نشر المكتبة العتيقة بتونس، غ م.
٣١- ذيول العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق محمد زغلول، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٣٢- الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د.عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، ١٣٩٧هـ .
٣٣- الروح، لابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف بديوي، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
٣٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية،دار الوعي بحلب، غ م.
٣٥- الزهد والرقائق، لابن المبارك، تحقيق أحمد فريد، نشر دار المعراج بالرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٦- الزهد، لوكيع، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، نشر مكتبة الدار بالمدينة، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ .
٣٨- سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وغيره، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، غ م.
٣٩- سنن أبي داود، تحقيق عزت الدعاس، نشر دار الحديث بحمص، غ م.
٤٠- سنن ابن ماجة، تحقق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الريان، طبعة البابي، غ م.
٤١- سنن النسائي، تحقيق مكتب تحقيق التراث، نشر دار المعرفة ببيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
٤٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٠هـ.
٤٣- شذرات الذهب، لابن العماد، نشر المكتب التجاري ببيروت، غ م.
٤٤- شرح أبيات مغني اللبيب،عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبدالعزيز رباح ، وأحمد يوسف دقّاق، دار المأمون للتراث، دمشق، مطبعة محمد هاشم الكتبي، ط١، ١٣٩٥هـ .
٤٥- شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٦- شرح شواهد المغني، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد الشنقيطي، نشر لجنة التراث العربي، غ م.
٤٧- شرح العقيدة الطحاوية (حاشيتها)، نشر المكتب الإسلامي، ط٥، ١٣٩٩هـ.
٤٨- شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى الشلبي، نشر مكتبة السوادي بجدة، ط١، ١٤١٢هـ.
٤٩- الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عطار، نشر دار العلم للملايين ببيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٥٠- صحيح البخاري، نشر دار الفكر ببيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٥١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ .
٥٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، ورتبه علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ،١٤١٤هـ.
٥٣- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
٥٤- صحيح مسلم، تحقيق محمد عبد الباقي، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، طبعة ١٤١٣هـ.
٥٥- صحيح سنن النسائي، للألباني، إخراج زهير الشاويش، نشر مكتب التربية العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.
٥٦- صلاة المحبين والطريق إلى إمامة المتقين،لابن القيم، تعليق خالد بن علي العنبري، دار سعد النجيم ، ومؤسسة البشائر في الرياض ، وطبعتها مطبعة سفير في الرياض، ١٤١٣هـ .
٥٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق د.علي ابن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٢ ، ١٤١٢هـ .
٥٨- ضعيف سنن الترمذي، للألباني، إخراج زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي ببيروت، ط١،١٤١١هـ.
٥٩- الضوء المنير على التفسير، علي الحمد الصالحي، مؤسسة النور، عنيزة، المملكة العربية السعودية، غ م .
٦٠- طبقات الشافعية، للأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري، نشر دار العلوم بالرياض، طبعة ١٤٠٠هـ.
٦١- طبقات الشافعية، للسبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وغيره، نشر البابي، ط١، ١٤٠٩هـ.
٦٢- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، طبعة مجلس دائرة المعارف بالهند ١٣٩٩هـ.
٦٣- طبقات المفسرين، للداودي، تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ.
٦٤- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل، نشر الخانجي بمصر، ط١، ١٣٧٣هـ.
٦٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط١، ١٤١٤هـ .
٦٦- العبودية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤٠١هـ.

٦٧- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وآخر، نشر مؤسسة الأعلمي ببيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦٨- غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير الجزري، تحقيق برجستراسر، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.
٦٩- فتح الباري، لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرون، نشر دار الريان بالقاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
٧٠- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للهمذاني، تحقيق فهمي النمر وآخر، نشر دار الثقافة بالدوحة، غ م.
٧١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد ابن حزم، تحقيق د.محمد إبراهيم نصر، ود.عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ .
٧٢- فهرس المخطوطات بجامعة الكويت ، كلية الآداب، الكويت .
٧٣- فهرس مخطوطات مكتبة برلين الغربية في ألمانيا .
٧٤- فهرس مكتبة الأوقاف العامة في بغداد .
٧٥- فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت، غ م.
٧٦- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة (في مجلد واحد)، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ .
٧٧- ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره، لبكر بن عبد الله بن أبي زيد، نشر مكتبة المعارف بالرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٧٨- ابن قيم الجوزية، عصره ومنهجه، لعبد العظيم عبد السلام وشرف الدين، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ.
٧٩- ابن القيم من آثاره العلمية، لأحمد ماهر البقري، نشر مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، طبعة ١٣٩٧هـ.
٨٠- الكشاف، للزمخشري، نشر دار المعرفة ببيروت، غ م.
٨١- كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩هـ.
٨٢- لسان العرب، لابن منظور، نشر دار صادر ببيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٨٣- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، غ م .
٨٤- مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، ع ٣ ،١٤٠٠هـ ، ص٤٥٢ .
٨٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش، نشر دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ.
٨٦- مجموع فتاوى ابن تيمية، نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، غ م.
٨٧- مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد الفقي، نشر مكتبة السنة المحمدية، غ م.
٨٨- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ومعه تلخيص الذهبي، نشر دار الكتب العلمية، غ م.
٨٩- المسند، لأحمد بن حنبل، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٩٠- مشكاة المصابيح (التحقيق)، تحقيق الألباني، نشر المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٩١- معاني القرآن، لأبي الحسن الأخفش، تحقيق فائزفارس، طبع بمطبعة العصرية بالكويت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٩٢- معاني القرآن، للفراء، نشر عالم الكتب ببيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٩٣- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، غ م.

٩٤- المعجم المختص، للذهبي، تحقيق محمد الهيلة، نشر مكتبة الصديق بالطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩٥- معرفة القراء الكبار، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٩٦- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار -بحاشية إحياء علوم الدين للغزالي-، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار المعرفة، بيروت، غ م .

٩٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م .

٩٨- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، نشر دار الفكر، غ م.

٩٩- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٠٠- والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٤٠٦هـ .

١٠١- المناظرة، جعفر بن محمد الصادق، تحقيق علي بن عبدالعزيز آل شبل، قسم التحقيق، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ .

١٠٢- الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرمي، دار لبنان، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .

١٠٣- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، قسم الدراسة، تحقيق ودراسة د.محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ .

١٠٤- الوافي بالوفيات، للصفدي، حققه مجموعة، نشر دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، طبع دار صادر ١٣٩١هـ.

١٠٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق عادل عبد الموجود وغيره، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٦- الوفيات، للسلامي، تحقيق صالح عباس، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

فهرس المحتويات

الصفحة

قسم الدراسة:

